معك يا ولدي في رحاب المعرفة

العتبة العلوية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية

معك يا ولدي
في رحاب المعرفة

بقلم

الشيخ عبد الرزاق آل فرج الله
الأســـدي

بسم الله الرحمن الرحيم

www.imamali-a.com

info@imamali-a.com

- الكتاب: معك يا ولدي في رحاب المعرفة.
- المؤلف: الشيخ عبد الرزاق آل فرج الله الأسدي.
- الناشر: العتبة العلوية المقدسة ـ قسم الشؤون الفكرية والثقافية.
- مراجعة: قسم الشؤون الفكرية والثقافية.
- الإخراج الفني: عبد الحسن هادي الشافعي.
- الطبعة: الأولى.
- محل وتاريخ الطبع: النجف الأشرف، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م.
- رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٢٥٥) لسنة ٢٠٠٩م.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة قسم الشؤون الفكرية والثقافية

الحمد لله رب العالمين دليل المتحيرين وغياث المستغيثين وأمان الخائفين، وصلى الله على نبيه الكريم صلى الله عليه وآله وأهل بيته الغر الميامين عليهم السلام وعلى صحبه المنتجبين.

في زحمة التيارات الفكرية المختلفة الأهواء والمناشئ ـ بالإضافة إلى الأحداث السياسية المتسارعة التي يشهدها العالم والدعوات القومية والعنصرية والطائفية ـ يبرز واجب العلماء والمفكرين في الدفاع عن حدود العقيدة الحقة ومعاقل الفكر السليم، ليكون مداد العلماء وتأثيره في تغيير شخصية الفرد وسيره على الطريق الصحيح.

إن التيارات الثقافية الضالة أفسدت أدمغة الكثيرين وسرقت تفكيرها واستقلالها، من خلال الأفكار المنحرفة أو الانتقائية المستوحاة من الثقافات الغربية أو الفلسفات القديمة، ومن هنا كان لا بد من الأخذ بأيدي المؤمنين إلى شواطئ الفكر الإسلامي السليم ومن منابعه الأصيلة، فالمعرفة هي الأساس للوصول إلى تلك القيم والابتعاد عن الانحرافات.

ويحكي هذا الكتاب معنى المعرفة وكيفية تحصيلها من مصادرها الحقة

وقسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العلوية المقدسة حريص على تقديم سبل الوصول إلى المعرفة للشباب المؤمن الواعي من منابعها الحقة، ليتسنى لهم السير التكاملي إلى الله تعالى وفق المنهج الإسلامي الصحيح.

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهـيد

الحمـد لله رب العـالمين والصـلاة والسـلام علـى خيـر خلقـه وسـيّد رسـله محمد وآلـه الطيبين الطـاهرين، وبعد: قبل الـدخول فـي معنـى المعرفـة، وفـي أقسامها وحدودها، عليك أن تعلم - يا ولدي - أن في هذه الأيام العصيبة، التـي يكتنـف فيهـا بلادنـا والأمّـة الإسـلامية عامّـة، ظـرف سياسـي معقـد، ووضـع اجتماعي مرتبك، وحالة من أخطر حالات الضياع الثقافي والفراغ الفكري.

فإننا أحوج مـا نكون إلـى فهم واقعنـا ومـا يـدور حولنـا من خطـر الـدوائر السياسية، التي تتحرّك ضدنا، لتفقدنا هويتنا الإسلامية، وتنسينا تعـاليم رسـالتنا وأساسيات عقيدتنا.

وأعتقد - يـا ولـدي - أنّ العنصـر الأسـاس الـذي تعتمد عليـه أمّـة الرّسـالة ورسالة الأمّة، في التصدي لهذه الحركـة، هم الشبـاب المؤمن الـذين هم أولـى بالنهوض بالأمة وإنقاذها، ولكن بتوفر شرطين أساسيين مجتمعين هما: الثقافـة والوعي.

أما الثقافة: فتعني - في جانب منها - امتلاك الرّصيد الثقافي عن

وأمـا الـوّعي: فيعنــي: أنّ هـذه الثقافـة قـد استضـاءت بـالعلم، واليقظـة والانتبـاه، وإذ أنّ الـوعي يعنـي مـا يمتلكـه الإنسـان المـؤمن مـن حـس فكـري إسـلامي نحـو ضـرورة المعرفـة، والـوعي لمعـالم الطريـق الـذي رسـمه القـادة الشـرعيون للأمّـة، ومـا منحتـه لـه عقيدتـه مــن القـدرة علــى التحليـل والفــرز والتمييز بين الأفكار والنظريّات والثقافات، ليأخذ الفكر ما هو صـحيح وفاعل في حياة الأمّة فعلاً إيجابيّاً، يخدم عقيدتها، ويهذب سلوكها، ويدعم وحدتها.

وبالوعي – يـا ولـدي – تستطيع أن تنقذ ثقافتك من حالـة الاستهلاك إلـى عملية الإنتاج والإبداع، وأن تتحول ثقافتك إلى رسالة تغيرية متحركـة فـي كل أبعاد وجودك الفكري والروحي والأخلاقي والاقتصادي والسياسي.

إذ أنّ مشكلة الإنسان اليوم: أنّه يميل إلى الاستهلاك أكثر ممّا يميل إلى الإنتاج، فقد تستفحل مشكلة الاستهلاك في مجالات مهمة من حياته:

منها: في المجال الاقتصادي: فمن الطبيعي أن أي إنسان إذا لم ينتج لا يأكل، فالحركة تبادلية في هذا المجال بين الإنتاج والاستهلاك، بمعنى أنه لابد أن يقدم بديلا في مقابل ما يبذل له من الطعام.

وقد يكون الاستهلاك – يا ولدي – على مستوى الدولة، عندما تكون الدولة متخلفة غير قادرة صناعيا، فتعتمد الاستيراد في سد الحاجات، لا الإنتاج المحلي. لذا فإن الدول المنتجة تفكر في أن تكون البلدان المتخلفة صناعيا تابعة لها، فتحصر إنتاجها الجيد في الاستعمال المحلي للبلد، لأنها لا تريد أن يكون بلدها بلدا استهلاكياً، لذا تقوم بتصدير البضاعة الرديئة إلى البلدان التي تفتقد القدرة على الإنتاج، لتمتص إنتاجها وتنمو من خلال ذلك عائداتها الاقتصادية.

ومنها: المجال السياسي: إذ أن البلد الذي يخضع لرؤى وأفكار ومقررات سياسية ليست من صميم إرادته وواقعه أو محيطه، يصبح بلدا استهلاكياً في حركته السياسية، فتراه يستهلك أفكارا ورؤى ومواقف، وفي كل فترة يحدث تغيير في مواقفه وآرائه وعلاقاته وقراراته، فلا يستطيع أن يتبنى موقفا سياسيا ثابتا، ولا يستطيع أن ينتج بنفسه قراراته ومواقفه، لأنه يخضع لتبعية الغير وتتلاعب فيه الظروف والأحوال وتقلبه كيف تشاء.

ومنها: المجال الديني: عندما يكون المجتمع تابعا لغيره في المعتقدات الدينية، ولم يحتفظ بفكره وعقيدته فتراه يتأثر بالتيارات الدينية ويتقبل أيّة فكرة أو عقيدة ترده من هذا وذاك.

وهذه هي مشكلتنا – يا ولدي – على الصعيد الديني، لأننا لم نحتفظ بعقيدتنا وفكرتنا وخطنا، ولم نحرص على معتقدنا من منطلق مسؤوليتنا، لأن المهم لدينا أن نكون متدينين وليس المهم أن نكون مسؤولين.

إن التدين المجرد عن الشعور بالمسؤولية استهلاك، أما الشعور بالمسؤولية، فهو حركة إبداعية منتجة، يستقل بها الإنسان المسلم عن الغير.

لذا فالإنسان الاستهلاكي في المجال الديني يعتبر تابعا ومتأثرا بكل ما يملى عليه من أفكار ومعتقدات وأساطير وأوهام، أما الإنسان الإنتاجي في هذا المجال، فهو: الإنسان الملتزم الثابت على عقيدته الذي لا تغيره الظروف والأحوال، ولا تزعزعه التيارات العاتية من هنا وهناك. بل هو الذي يستلهم القيم من رسالته ويلهمها للغير.

ومنها: المجال الثقافي: وهو من أهم المجالات التي تستحق الاهتمام، لأن الثقافة هي الممون للحركة الإنتاجية في كافة المجالات.

فإن رابطتك – يا ولدي – بمصدر ثقافتك الإسلامية، هي رابطة عهد ومسؤولية، وأنت تعلم ما للعهد والمسؤولية من خطر وموقع في حياتك ووجودك، بمعنى: أن تكون ثقافتك رسالة تغيرية في كل أبعاد حياتك الفكرية والروحية والأخلاقية والاقتصادية والسياسية.

وتعتمد هذه الرسالة الثقافية على وسائل شتى، من الصحيفة، إلى المجلة

وأما الوسائل الإنتاجية فهي تتمثل في مصادر ثقافتك الإسلامية، التي تنير لك الطريق، وتبصرك بالمسافة بين الاستهلاك والإنتاج، وهي المسافة بين الجمود والتطور، وبين الأخذ والعطاء في هذه الحياة.

فمن خلال معرفتك للفرق بين الاستهلاك والإنتاج، تعرف الفرق بين الثقافة التي تعني: المعلومات والأفكار والتصورات والأخبار ووجهات النظر التي تعج بها الصحف والنشرات ووسائل الإعلام، وتختزنها أجهزة الكمبيوتر، وبين الوعي الذي يعني: القدرة على التمييز والتقييم، وطرح ما هو نافع ومفيد لعلاج الواقع، والتخلص من رواسبه وأوهامه.

أما كيف نتخلص من هذه المشكلة، وكيف نغير حركتنا الثقافية من الاستهلاك إلى الإنتاج، لتتغير على ضوء ذلك كل حركة الحياة، وفي كافة

المجالات، فهذا التغيير يحتاج إلى عزيمة وتحمل للصعوبات على ضوء ما جاء عن أهل البيت عليهم السلام.

فعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال: (إن أمرنا صعب مستصعب، لا يحتمله إلا ملك مقرب، أو نبي مرسل، أو مؤمن امتحن الله قلبه

الورع – يا ولدي – أن نكون في خط الإيمان والخشية من الله عز وجل، وأما الاجتهاد: أن نكون في خط الإنتاج والحركة التكاملية في أبعاد وجودنا، بأن نوطن أنفسنا على المشقة والصعوبة في طريق الاستفادة، وطلب المعرفة للوصول إلى الحق والحقيقة في مجاهل الطرق وملابساتها.

فلا ألفينك تحمل العلم كمعلومات فقط مجردة عن نور العلم وحقائقه، وتختزن وتتحدّث بأفكار وأخْبار وتصوّرات ومفاهيم شتى، وأنت لا تميّز بين الغث والسمين بنور العلم والبصيرة، واستمع إلى قول الله عزّ وَجل: **(مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا....)** (الجمعة: ٥).

فمن يحمل العلم والثقافة – يا ولدي – ولم يستنر بنور العلم الذي يحمله، فهو يجهل أين يضع ما يحمله، لأنه يجهل في أيّ طريق وإلى أي غاية يتجه، لذا فإنه لا يستطيع أن يكون في خط الإنتاج والحركة التكاملية في أبعاد وجوده فضلا عن وجود الآخرين، ولا يمكنه أنْ يوطن نفسه على المشقة والصعوبة في طريق طلب الحقيقة.

وأعلم أنّ مما يشير إلى ضرورة حركة الإنتاج والإبداع في علومنا وثقافتنا قول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لكميل بن زياد: (يا كميل، المال تنقصه النفقة والعلم يزكو على الإنفاق)[٣].

---

١ . مختصر بصائر الدرجات للحسن بن سليمان الحلبي: ١ / ١٣٢

٢ . ميزان الحكمة: ٢ / ٢٨١.

٣ . الأمالي للمفيد: ١ / ١٥٩.

وقال عليه السلام: (علمني رسول الله ألف باب من العلم فانفتح لي من كل باب ألف باب)[1]

بمعنى: أنه عليه السلام كان قد حول كل ما تلقاه من العلم والمعرفة من رسول الله صلى الله عليه وآله، إلى حركة تغييرية جادة ومنتجة في واقع الأمة، وملأ حاجتها منْ كلّ ما أوتي من أبواب العلم والمعرفة، وهل كان يقدر على ذلك لو لم يكن واعيا لكل ما كان يتلقاه ؟ وقد نزل فيه قوله تعالى: **(وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ)** (الحاقة: ١٢).

لذا متى كان الوعي في حياتك – يا ولدي – يشكل أساسا للانطلاق نحو كلّ نشاط فكري أو عملي، حتى على مستوى اختيارك الرّصيد الثقافي النافع، فإنه سوف يخدم كلّ حركة من حركاتك وتصرّفاتك، في الوقت الذي لا تستطيع الثقافة وحدها أنْ تخدم إنسانيتك دائما بالاتجاه الصحيح.

وإلا، ألم يكن عالم الذرّة أو البروفيسور، أو الدّكتور الهندوسي مثقفا؟فلماذا يتبرّك بفضلات البقر ويقدّسها لولا فقدان عنصر الوعي ؟ أولم

إلا أنهُم رَكنوُا إلى الجوانب الماديّة في شؤون الحياة، ولم ترض نفوسُهم أنْ يبقوا على مظاهر الحياة البدائية، فأبدعُوا وطوّروا وقفزوا بالحياة قفزاتٍ عِمْلاقة.

ولكنهم في عالم المعتقدات، رضوا بأن يبقوا على المظاهر التقليديّة، واعتمدوا على المورْوثات الزائفة من التقاليد والعادات، ولم يحرّكوا عقولهم في عالم البحث عن المعرفة الصحيحة.

ولو أنهم فكروا وتحرّكوا بالعقل في دراسة العقيدة كما فكروا في دراسة الحياة، لوصلوا إلى الحقيقة الحقة، لأنّ الثقافة لا تتحرّك لوحدها باتجاه تكامل الإنسان وارتقائه إلا في حدود الحياة المادية.

---

١ . شرح مئة كلمة، ابن ميثم البحراني: ١ / ٨١.

فلغرض بلورة ملامح المعرفة وحدودها – يا ولدي – يقع الحديث معك - بصفتك الإنسان الواعي الذي يستوعب الحقيقة - في ثلاثة محاور:

المحور الأول: في المعرفة بالمعنى الأعم.

المحور الثاني: في المعرفة بالمعنى الأخص.

المحور الثالث: في صفات المؤمن العارف.

فعلى الله توكّلنا وإليه أنبنا واليه المصير.

المحـور الأول

المعرفـة بالمعنى الأعـم

ماذا تعني المعرفة ؟

تعني المعرفة بالمعنى الأعم – يا ولدي – العلم بالشيء، وإن العلم بالشيء ومعرفته لا يحتاج إلى تعريف، إذ يلزم توقف الشيء على نفسه، فإذا قلنا: أن المعرفة هي العلم، والعلم هو المعرفة، احتاج العلم إلى العلم، والمعرفة إلى المعرفة، وإلى ما لانهاية، فلم يعد لدينا شيء من المعرفة٠

فليس أمامنا – يا ولدي – إلاّ إيضاح المصطلح بالمرادف، وهو القول: بأنّ المعرفة: هي العلم بالشيء والإحاطة به في واقع القلب، والقدرة على تعريفه للغير، سواء كان التعريف بما يرادفه كما نحن فيه، أو التعريف بآثاره وخواصّه كقولك: الحنظل ثمرة ذات طعم مر، أو التعريف بمكوّناته وأجزائه كقولك: الماء سائل مركب من الهيدروجين والأوكسجين، أو بحقيقته وماهيّته كقولك: الإنسان حيوان ناطق.

۞ ۞ ۞

ما مصدر المعرفة ؟

إنّ المعرفة – يا ولدي – والعلم والقناعة بأيّة حقيقة من الحقائق – الأعم من الحقائق الموضوعيّة الخارجيّة وغيرها، كالحقائق الذهنية، تستند في تحصيلها إلى طرق ثلاثة هي:

الأول: طريق التعامل الحسّي مع الأشياء، بواسطة السّمع والبصر واللمس والشم والذوق، فإنّ ما تدركه حواسك من الوجودات الخارجيّة هو معلوم ومعروف لك بالضّرورة الحسيّة، إذ أنّ هذه الحواس في تعاملها مع الوجودات الماديّة المحدودة تعتبر نقطة انطلاق لك – أيضا – إلى المصدر الثاني من مصادر المعرفة الذي سنتحدث عنه.

فإنك عندما تسمع صوتاً، أو تذوق طعما لفاكهة معينة، أو ترى ببصرك شيئا، أو تلمس جسما معينا، تستطيع أن تنتزع من خلال حواسك صورا أو مفاهيم عقلية عن هذه الأشياء التي وقعت تحت حواسك، ليقوم الإدراك العقلي بدوره في عملية الفرز والتركيب والقبول والرّفض، وما إليها من نشاطات عقلية.

وأهمّ الحواس التي يتأتى من خلالها العلم والمعرفة، حاستا السمع والبصر لديك، اللذان يتلقيان ما يحسانه من الموجودات الخارجية، ويرسلانه إلى عقلك الذي يقوم بعملية التحليل والاستنتاج والقبول والرّفض كما سيأتي الحديث عنه.

وقد اصطلح عليه القرآن بـ (الفؤاد)، الذي هو الوعاء الذي يستوعب ما يتأتى له من المعلومات، لذا قال عز وجل: **(وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ الْسَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)** (النحل:٧٨).

كما علق المسؤولية على سمعك وبصرك وعقلك في عملية التلقي والاستيعاب فقال تعالى: **(إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً)** (الإسراء: ٣٦).

الثاني: طريق الإدراك العقلي، إذ يعتمد العقل في وظيفته هذه، على نوعين من المعارف العقلية:

أ- المبادئ والمسلّمات الأساسيّة التي تذعن لها نفسك، ويحكم بها عقلك حكما محضا ومستقلا، مثل (استحالة اجتماع النقيضين) و (أن الكلّ أكبر من الجزء) و (أنّ لكلّ حادث سببا).

ب. المعارف والمفاهيم الكليّة المستنتجة عن طريق الاستقراء، والتتبع، والتجربة الحسيّة، مثل (مفهوم الناطقيّة) الذّي بإمكانك استنتاجه من مصاديق خارجيّة محسوسة مستقرئة لوجود الإنسان.

وهذان المصدران – يا ولدي – يعضد أحدهما الآخر، إذ أنّ الحواس التي لديك، هي التي تزوّد العقل بالتجربة الحسيّة التي لا يستغني عنها، وبالعكس، فإنّ المسلّمات الكليّة العقليّة التي تملكها، هي التي تعطي المعلومات والمعارف قيمتها العلمية.

فمثلا: إنك عندما تستقريء بالتجربة الحسيّة، أن كلّ ما لديك من فلز يتمدّد بالحرارة، فسوف تحكم حكما عامّا من خلال هذه التجربة بقولك أنّ: (الفلزّات تتمدّد بالحرارة).

ولكنّك – يا ولدي – لا تستطيع أن تحكم بهذا الحكم الكلي، إلاّ على أساس المسلّمات التي يؤمن بها عقلك، وتذعن لها نفسك، مثل: (إنّ لكلّ حادث سببا) أو (إنّ اجتماع النقيضين مستحيل). وبهذه الطريقة من التفكير عند الإنسان – بمستوياته كافّة – تتكوّن المعارف والعلوم التصديقيّة، التي تتسم بطابع الكشف في المجالات كافّة.

الثالث: طريق الوحي: وهذا الطريق – يا ولدي – يختص بثلة معيّنة من البشر الذين اصطفاهم الله عزّ وجل، واجتباهم لتبليغ الرّسالات، ومتعهم بقوّة فوق الحواس والمدارك العقليّة العاديّة لدى البشر.

وهذه القوّة – وهي الوحي والإلقاء المباشر في الرّوع – هي التي يتوصّل بها هذا الصّنف من البشر إلى معرفة الأشياء على حقيقتها، وإلى إدراك أسرارها وخفاياها الغيبيّة، لذلك قال الله عزّ وجل: **(عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ**

عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا) (الجن: ٢٦- ٢٧).

وعلى هذا الأساس، تكون المعرفة بالنّسبة إلى هؤلاء ذات قيمة أعلى من معرفة البشر العادي، وذلك بحكم الوظيفة الرسالية الموكلة إليهم.

ما مدى لزوم المعرفة ؟

لاشك في أنّك – يا ولدي– بل كلّ إنسان مؤمن، مدعوّ بحكم القرآن الكريم، إلى التفكّر وإعمال العقل، لاستلهام العلم والمعرفة على أصعدة شتّى في هذه الحياة.

ودعوة القرآن لك ولغيرك، دعوة فريدة من نوعها، تختلف عن غيرها من رسالات السّماء، لأنّ القرآن معجزة العقل، لذا فقد اهتم بفتح الآفاق العلميّة للفكر الإنساني، واستجلاء الحقائق العلميّة من خفايا وزوايا هذا الوجود. بهدف الوصول إلى العلة الأعمق والمثل الأعلى للكون والحياة.

وتتجلّى هذه الدّعوة – يا ولدي – في بيان متظافر من الآيات التي تبرز ضرورة النظر، وتجعل العقل منارا لهذه الحياة، ومنبعا للقوّة التي تستثمر بها خيرات الكون وقواه من أجل خدمة الإنسان، وبالتالي دليلا على وجود الخالق ووحدانيته وبالغ حكمته. قال تعالى:

(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاء مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) (البقرة:١٦٤).

هذا مضافا إلى الدّوافع الذاتية التي تدخل في صميم تكوين كل إنسان، والتي تعني: أن طبيعة خلق الإنسان وتكوينه، أنه خلق ليفكّر، ويفكّر ليبدع،

ويتطلّع إلى جلّ مدارج التكامل والتسامي في هذا الوجود، إلى جانب النمّو الجسمي، وتتلخص هذه الدّوافع بما يأتي:

١. حب الاستطلاع: وهو ارتكاز نفسي، ونزعة فطريّة، تجد معها نفسك - يا ولدي - مدفوعا، وفي مراحل عمرك كلها، إلى المعرفة بمختلف شؤون الحياة، وإن اختلفت هذه النزعة الفطريّة قوّة وضعفا من إنسان لآخر.

فإنك ترى الطفل – يا ولدي – عندما تنمو مداركه، فإنه ينزع إلى طرح العديد من الأسئلة على مسمع والديه، يريد الجواب عليها٠كما كنت تطرح أنت الكثير من الأسئلة عن شتى الظواهر والمشاهد التي تتعامل معها.

٢. قبح الجهل: وهي قاعدة متركزة في عقلك وعقل كل إنسان، وهي تحفّزك وتدفعك في طريق المعرفة ما وسعك، فإن العقل الإنساني- مهما كان مستوى إدراكه ووعيه – يدرك قبح الجهل وحسن العلم والمعرفة، ويجل ويحترم العلم والعلماء كما كنت أجد ذلك في نفسك – يا ولدي – وإذا كان هناك شواذ من الناس الذين يتنكرون للعلم، وينصبون له العداء، فليس ذلك من فعل العقل الذي يحملونه ولا من صحيح الفطرة السليمة، وإنما هو من فعل العقد والأمراض النفسيّة التي تكون معها النفوس قاتمة مظلمة، تعاكس الفطرة، وتتجاهل الحقيقة، ولاشك أن الناس أعداء ما جهلوا.

٣. الغريزة الدينية: وهي غريزة ثابتة في فطرة كل إنسان، فأنت منذ ولادتك – يا ولدي – وحتى أن تفتحت مداركك، كنت تسأل عن الذي صنعك، والذي أعطاك القوى التي بها تتصرف وتتحرك.

وهذه الغريزة تعني الميل الطبيعي إلى معرفة المعبود القويّ الأعلى، الذي يحدّد لك معالم الحياة، ويرسم لها حدودها، ويرعاها بالأمان والرّحمة، فتراك تخترع السبل للوصول إلى هذا المعبود، الذي قد تراه كما رأته الإنسانية في غابر الزمن، ممثلا في أشكال عديدة من قوى وطاقات هذا الكون.

ولكن الدراسة والعقل يقول لك: إن تحديد الخالق في قوى وطاقات هذا الكون المحدودة، لا ينسجم مع المبادئ والمسلمات العقلية التي تؤمن بها، من بطلان الدور، والتسلسل، واستحالة اجتماع النقائض وغيرها، فاهتديت إلى الإيمان بالله عز وجل.

٤. دفع الضرر المحتمل: وهي قاعدة عقليّة تعتبر منطلقا لإعمال الفكر وتحريكه في الأشياء التي يكون الجهل بها موقعا للضّرر، لاسيما الضّرر الذي ليس فيه عوض، وتشمل هذه القاعدة مجالات الحياة وشؤونها كافة.

فإنكّ – يا ولدي – عندما تريد أن تسلك طريقا موصلا إلى غاية من الغايات لا تشرع في المسير إلا بعد معرفة المسافة، و تقدير درجة السلامة في هذا الطريق. كما أنّك إذا ما أحسست بوجع في أيّ جهاز من أجهزة جسمك، تجدك تسعى إلى معرفة سببه، لتضع له العلاج وتدفع ما تتوقع حدوثه.

وهكذا تتوفر لك هذه الدّوافع لاستلهام المعرفة في كلّ مجال من مجالات الحياة، لتؤدّي - كأي إنسان مكلف - رسالتك التي خلقك الله من أجلها في واقع الحياة، وفي حدود الاطمئنان بسلامة الموقف.

ما أبواب المعرفة ؟

إنّ هناك بابين رئيسيين – يا ولدي – ينبغي أن تتحرّك من خلالها بإحساسك وفكرك وعقلك لاستلهام المعرفة، نص عليهما القرآن الكريم، فقال تعالى: **(سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ)** (فصلت: ٥٢).

الباب الأوّل: في مجال الكون:

ففي هذا المجال – يا ولدي – عليك أنْ تعتقد بمسلمات فكرية ترتبط بالمحيط الكوني الذي تتعامل معه، ومن هذه المسلمات:

١. إنّ هذا الوجود الكوني لا ينحصر في الوجود المادي، بل هو أوسع من المادة، وهو ما أطلق عليه القرآن بـ (عالم الغيب) في مقابل عالم الشهادة، فكما أنّ الظواهر المادية يؤثر بعضها بالبعض بإذن الله تعالى، فكذلك الموجودات الغيبية تؤثر في الطبيعة بإذن الله عز وجل، كتأثير الملائكة وتسببها في الكثير من حوادث الطبيعة وتغيراتها **(وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُم حَفَظَةً حَتَّىَ إِذَا جَاء أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ)** (الأنعام: ٦١).

٢. إنّ هذا الوجود الكوني الذي يحيطك – يا ولدي – قائم على أساس الترابط السببي بين أجزائه ومظاهره بحكم قانون التأثير المتبادل بين كل الظواهر الكونية وهو شاهد من شواهد التدبير الرباني للخلق، ودليل على أنّ كل ظاهرة كونية تسير بإذنه ومشيئته عز وجل، قال تعالى:

(الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاء بِنَاء وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ) (البقرة:٢٢).

٣. إن كل ما في هذا الوجود الذي يحيطك – يا ولدي – لم يخلق عبثا، بل خلق على أساس الحكمة الرّبانية، وليس هناك مما تشاهده من مخلوقات الله

عز وجل من الحشرات الصغيرة إلى الأجرام الكونية الكبيرة، إلا ويصب وجودها وحركتها ونشاطها في إطار هذه الحكمة. وقد أجمل لك القرآن هذه الحقيقة بقوله تعالى: **(مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ)**(الأحقاف: ٣).

٤. إن كل ما في هذا الكون – يا ولدي – يخضع لهداية خاصة، وتوجيه ربّاني، بحسب ما تتمتع به الموجودات من الضبط والإتقان التكويني، قال تعالى: **(الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ)** (السجدة: ٧)، وقال تعالى: **(الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى)** (طه:٥٠).

إنّ الكون صفحة ناطقة ترتسم عليها مظاهر القصد والحكمة والإبداع المتقن، وأنت ترى – يا ولدي – أنّ من طبيعة كلّ مبدع ومنتج على مستوى حياتنا، أن يروّج إبداعه وإنتاجه بأحد اسلوبين:

أ. إسلوب الدّعاية والإعلان في المجلات والصحف ووسائل الترويج والدّعاية الأخرى، التي تتبنى الحديث والشهادة بجودة الناتج.

ب. إسلوب الإتقان، وشاهد الحال الذي يدل على ذكاء الصانع ودقته ومهارته في إبداع الحاجة المبتكرة، وهذا الأسلوب أكثر تأثيرا، لا يحتاج معه المبدع إلى وسائل الدّعاية والنشر، بل يفرض الحديث نفسه على الواقع، ويدلي بالشهادة والثناء بلسان الحال.

لذا فإنك تجد في كلّ صفحة من صفحات الكون حكاية صامتة وأخرى ناطقة، وكلاهما لسان بليغ، ينطق بالثناء على مظاهر الحكمة والتدبير والقصد الربّاني. كما قال تعالى: **(تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا)** (الإسراء: ٤٤).

فلو عرفت – يا ولدي – وعرف كل إنسان معك لغة كلّ كائن، ولو تفتّق سمعك على أصوات المخلوقات، وعلى حركة الحياة فيها، ولو عرفت سرّ كلّ ظاهرة من الظواهر الكونيّة، لوقفت مع نفسك موقفين:

أحدهما: موقف الدّهشة والتعجّب لما ترى وتسمع من هذا الموكب الكوني الكبير المترامي الأطراف، وما فيه من معاني الحكمة والإبداع الهائل.

ثانيهما: موقف الخجل، وذلك حين ترى نفسك الصّغيرة وحدها أحياناً، في زاوية من زوايا الكون العريض الواسع الأبعاد، وفي ذرّة من ذرّاته، وهي قد تعاكس – لا سمح الله – أو تقصّر عن مواكبة هذه الحركة الكونيّة الهائلة، المنقادة بكلّ قواها وقوانينها ونواميسها إلى الخالق الحكيم الأعلى جلّ في علاه.

الباب الثاني: النفس

فإنّ النفس الإنسانية – يا ولدي – بما تحمل من دلائل الحكمة الإلهيّة، هي ميدان مهم من ميادين استلهام المعرفة، وباب تدخل من خلاله إلى رحاب المعرفة بنص القرآن الكريم. قال تعالى: **(وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ * وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ)** (الذاريات:٢٠- ٢١).

وتذكّر- يا ولدي - ما جاء في النص المشهور: (اعرف نفسك تعرف ربّك)[1]، فقد جعل هذا النص الشريف، معرفة النفس من المنطلقات الداعية إلى معرفة الله عز وجل، لأنها – أي: النفس –، وإن كانت لا تعدو كونها ظاهرة كونية صغيرة، بل – كما عبّرت لك عنها – هي ذرّة صغيرة، في زاوية من زوايا هذا الكون الواسع المترامي الأطراف، إلا أنها حقيقة مستقلة تتحدّى التصوّر، كما جاء – أيضا – في الشعر الحكمي المنسوب إلى الإمام عليّ عليه السلام:

دواؤك فيك وما تشعر ... وداؤك منك وما تبصر

وأنت الكتاب المبين الذي ... بأحرفه يظهر المضمر

وتزعم أنك جرم صغير ... وفيك انطوى العالم الأكبر

---

١ . السقيفة أم الفتن، د. الخليلي: ٣٣.

فليس المراد بمعرفة نفسك – يا ولدي – أن تعرفها بصورة اللحم والدّم فحسب، بل أن تعرفها بالجوهر والمعنى القائم في هذه الصّورة. وهو المعنى الذي يمثل مصدر أحوال هذه النفس وشؤونها وسياساتها وحركتها.

إنّ هذا البعد الخفيّ، الذي هو مصدر جميع أفعالك ونشاطاتك، هو مركز الخلاف بين الماديّين وغيرهم.

فقد تخطّى المؤمنون هذه الكتلة الجسديّة الماديّة، إلى الإيمان بالبعد الخفيّ للنفس، باعتباره منبع كل الكفاءات والإدراكات، وهو مبدأ كلّ الأفعال والنشاطات، وما الجسد إلاّ وسيلة وأداة طيّعة للنفس، تنفذ به كلّ مآربها ومطالبها.

في مقابل هذا إدّعى الماديّون، ومنهم (هوبس هيوم) الذي قال: إن الأفعال والنشاطات الفكريّة وغيرها، هي نتيجة حركات ذرّات الجسم وتفاعلها، ومعنى هذا: أن ليس للنفس وجود، بدليل أنّه لو حصل مانع من تجمّع الذرات وتفاعلها لأدّى ذلك إلى اضطراب الفكر وذهابه.

فالأفكار والمشاعر من الحب والبغض عند هؤلاء – يا ولدي – ما هي إلا آثار جسديّة، وإفرازات ماديّة كما تفرز الغدد اللعاب، وكما تفرز الغدّة الصّفراء المرارة. وإن أبسط الأجوبة التي يمكنك أن تستحضرها للرّد على هذه الفكرة، هي أن تقول لهم:

أوّلاً: بماذا تفسّرون لنا – أيّها الماديّون – خطورَ المعارف العلمية، والعلوم والمفاهيم النافعة على ذهن العالم دون الجاهل، مع كون الحركة والتفاعل في كلّ من الدّماغين واحدا ؟.

ثانياً: لماذا تحتاج النظريّات العلميّة الدقيقة إلى عملية فكريّة ضخمة، وعمق وافر في التفكير لاكتشافها، خلافا للعلوم السّهلة التي لا تحتاج إلى هذا العمق؟.

ثالثاً: لو كان الفكر والنشاط العقلي من فعل المادّة، فإن المادة لا تقبل إلا شيئا واحدا من الصّور، كالورقة التي لا تقبل شيئا يضاف إلى ما كان يملؤها من المعلومات المكتوبة، إلا بعد إزالة الوجود الأول.

فبماذا تفسّرون- أيها الماديّون - اجتماع الخزين الضخم من الصّور والمعلومات في ذهن الإنسان في آن واحد ؟، بل يتقبل الذهن تصوّراً حتى المتضادات والمتناقضات كالليل والنهار، والحرارة والبرودة، التي يستحيل اجتماعها خارجا؟.

رابعاً: بماذا تفسّرون- أيها الماديون- تحكّم الإرادة الإنسانية في كثير من الأفعال والنشاطات والمشاعر؟، بينما لا نجد دورا للإرادة، لو كان الفعل مرتبطا بميكانيكية تجمّع الذّرات وحركتها. أفلا يدل نفوذ الإرادة وقوّتها، على وجود شيء خارج نطاق حركة المادّة وتفاعلها، هو الذي تعزى إليه الأفعال والنشاطات ؟٠

غاية الأمر – يا ولدي – إننا نؤمن أنّ هناك تفاعلا في الأدوار بين النفس والجسد، فكما أن العين لا تبصر، والأذن لا تسمع بدون النفس بصفتها منبع الأفعال، فكذلك النفس لا تعرف الألوان، ولا تميّز بين الأصوات دون الجوارح، التي تنقل إليها حقائق الواقع الخارجي كما عرفنا، ومع ذلك ينبغي أن تعرف أن للنفس الدور الأهم، وذلك:

١. إنّ فعل النفس – يا ولدي – هو المنبع الأوّل والمحرّك الرئيسي لنشاط جوارحك وحواسك، وإنّ هذه الحواس لا يمكن أن تستغني عن النفس بحال من الأحوال.

٢. إنّ النفس قد تستغني عن الحواس في كثير من نشاطها، ففي جزء كبير من تصوّراتك ومفاهيمك لا تحتاج فيها إلى الحواس، وذلك: لو سددت أذنيك، وأغمضت عينيك، استطعت أن تتصوّر الكثير من الحقائق، وتنشئ الكثير من المفاهيم، وتنتزع الكثير من المعلومات، مستقلا عن كلّ حاسّة وجارحة من جوارحك.

۞ ۞ ۞

إشارات قرآنية إلى موقع الإنسان

هناك إشارات قرآنية – يا ولدي – عن موقع النفس الإنسانية في نظر القرآن الكريم، وما أولاه لها من التكريم وبينه من الحقائق التي ينبغي أن تتخذها في فكرك كأوليات عن مقامك في نظر الله عز وجل، ومن هذه الأوليات ما يأتي:

أ. أن تعرف – يا ولدي – بأنك كائن مركب من جسد وروح، وبالنهاية لا بد أن يتلاشى هذا الجسد في طبقات الأرض، وتبقى روحك حية مبصرة في عالم الأبد، لأنها نفخة من روح الله تعالى. لذا أمر تعالى ملائكته بالسجود لهذه الحقيقة الأبدية السامية فقال: **(فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ)** (الحجر: ٢٩).

وفي موضع آخر، ألمح إلى أن الروح زينة الخلق، وسر جماله، فقال تعالى: **(ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ)** (المؤمنون:١٤).

ب. إن هذه الروح – يا ولدي – هي مركز التوجه الفطري إلى الله عز وجل، فإنك ذو فطرة توحيدية بشرط بقائك بعيدا عن التأثيرات والعوامل الخارجية كالتربية والبيئة والصداقة، وغيرها من العوامل التي تساهم في حرف فطرتك عن ربك ودينك، فإن الله تعالى حين خلقك وجه الخطاب لفطرتك السليمة فقال تعالى: **(فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ)** (الروم: ٣٠).

ج. أن الله عز وجل كرّم إنسانيتك بكرامة خاصة، منذ أن أمر ملائكته بالسجود، فقال تعالى: **(وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ)** (البقرة: ٣٤)، تعظيما لقدرته عز وجل، وبالغ حكمته التي تتجلى في خلقك ودقة تركيبك من ناحية.

ومن ناحية أخرى: إكراما لإنسانيتك التي تتسامى من خلال واقع الصراع المرتقب، الذي علم الله تعالى أنك ستدخل حلبته المريرة في شوط حياتك المقررة في علمه عز وجل، فقال تعالى: **(وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ**

فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً) (الإسراء: ٧٠).

د. إنك – يا ولدي – الكائن الحر، المطلق الإرادة في اختيار طريقك ومنهجك، وليس من حق أحد أن يقسرك على فكرة أو سلوك ما لم تتوصل إلى ذلك بقناعاتك الحرة، فقد أرشدك الله تعالى إلى ما يصلحك وترك لك الاختيار، كما لو أرشدك الطبيب إلى علاج مرض بتناول دواء معين أو ترك بعض الأكلات التي تضر بصحتك، قال تعالى: **(إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا)** (الدهر: ٣).

هـ. بما أنك – يا ولدي – إنسان تملك حريتك في اختيار طريقك ومنهج حياتك، لذا فإنك إنسان قابل للتربية والتعليم والتهذيب، لأن فطرتك السليمة تمكنك من معرفة الخير والشر، وعلى هذا الأساس، فقد جاءت بعثة الأنبياء والرسل، ودعواتهم موجهة إلى عموم البشر حتى الفراعنة منهم الذين استعلوا في الأرض، ليطرق الأنبياء باب الفطرة الإنسانية، فقال تعالى: **(اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى * وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى)** (النازعات:١٧–١٩).

و. مما يميزك عن الكائنات الأخرى وعن سائر الأحياء، أنك كائن مفكر، وأن التكامل العقلي مظهر من مظاهر الارتقاء في إنسانيتك، لذا حثتك آيات الكتاب الكريم، على التفكر والتأمل في مظاهر الخلق لأن التفكر من علائم أولي الألباب المتطلعين إلى معرفة ربهم. **(الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)** (آل عمران: ١٩١).

ز. وممّا يميزك عن غيرك من الخلق – يا ولدي – أنك من منطلق الصلاح الذي تبتغيه بمعرفة ربك، تسعى نحو المستقبل البشري الموعود، الذي يسود فيه عدل الله عز وجل، وتصبح الحاكمية له في الأرض على أيدي الصالحين من عباده، **(وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ)** (الأنبياء: ١٠٥).

وإننا لم نكن نعهد في أي فترة من فترات التأريخ المنصرم، أن الأرض قد ورثها عباد الله الصالحون بصورة تامة وشاملة، بل كانت ولا تزال السيطرة على جزء كبير من الأرض للقوى الكبرى من أهل الباطل والانحراف، مما يدل على أنّ هذا الوعد بوراثة الأرض والتمكين فيها، سيتحقق في نهاية المطاف على يد العارف المصلح الأكبر الإمام المهدي المنتظر المقرر ظهوره في علم الله عز وجل طال الأمد أم قصر كما وعد الله عز وجل وهو أصدق الصادقين.

ما الغاية من معرفة النفس؟

فقد حدّدت لك الآية الكريمة – يا ولدي – الغاية من معرفة النفس، بالقول: **(حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ)**، وهل للحق مصداق أولى من معرفة الله عز وجل؟

الجواب: لا إن قمة المعرفة تتمثل في معرفة الله تعالى، التي تعتبر معرفة النفس من أهم منطلقاتها، كما جاء في النص الآنف الذكر (اعرف نفسك تعرف ربك)، والذي يرمز إليه هذا النص – يا ولدي – هو أمور عدّة:

الأول: اعرف نفسك، أي عليك أن تضعها في ميزان البصيرة، وتطالع ما فيها من نقاط الضعف والافتقار، فستجد: أنك أوهن مخلوق، بالرّغم من أنك تحمل أكبر نسبة من الحياة والحركة الفاعلة، التي تجعلك قادرا على قهر الطبيعة وتذليل قواها لصالحك.

وقد قيل للإمام علي عليه السلام في هذا المعنى: كيف تجدك يا أمير المؤمنين؟ فقال عليه السلام: (كيف يكون حال من يفنى ببقائه، ويسقم بصحّته، ويؤتى من مأمنه؟)[1].

الثاني: اعرف نفسك، أيّ: تطلّع إلى مظاهر حكمة الله عز وجل في خلقك وفي دقّة تركيبك. فإنّ حكمة الخالق تتجلىّ في كلّ جزء من أجزاء هذا الخلق، ابتداء من الخليّة الأولى وانتهاء بأعقد جهاز من أجهزة التركيب البشري، فستجد نفسك مليئة بأظهر الأدلة على وجود خالقك.

الثالث: اعرف نفسك، بمعنى: أنّ وجودك – يا ولدي - وجود تعلّقي، أي انك محتاج في وجودك إلى موجد، بصفتك ممكنا حادثا تحتاج إلى الوجود الاستقلالي، وهو الوجود الواجب الغنيّ عن وجود غيره، وهو الحق الذي تفضل عليك بنعمة الوجود، فكان حقا عليك أن تؤمن به وتدين له بالطاعة.

١ . شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: ١٨/ ٢٨٠.

الرابع: اعرف نفسك، لأن نفسك في وجودها اللاهوتي الخفي – كما عبّر أحد العلماء – دليل على وجود الله ووحدانيته، وذلك من وجوه عدّة أوجزها لك:

١. في كون نفسك محرّكة ومدبّرة لكيانك أفعالك ونشاطاتك كافة ، فاعلم أنه لابدّ للعالم الكوني من محرّك مدبّر لوجوده.

٢. في كون نفسك مريدة وقادرة على هذا النشاط والعمل والحركة، فاعلم: أن ذلك دليل على إرادة وقدرة الخالق عز وجل.

٣. في كون نفسك عالمة، محيطة بأحوال جسدك، فاعلم: أن الله عز وجل عالم محيط ومطّلع على أحوال الكون والحياة.

٤. في كون نفسك متقدّمة وأزلية في وجودها على الجسد، وأبدية في بقائها بعد انفصالها عن الجسد، فإن أزليتها وأبديتها، دليل على أزلية وأبدية الخالق عز وجل.

٥. في كون نفسك واحدة، بدليل وحدة إرادتها في الفعل والنشاط، وفي النتيجة التي تحققها في واقع الحياة، دليل على وحدانية الخالق عز وجل.

٦. في كون نفسك غير محدّدة بمحل أو موقع خاص من جسدك، دليل على عدم أينيّة الخالق عز وجل.

٧. في كون نفسك ممتنعة، وغير خاضعة للإدراك والحس، إلا بآثارها التي تدل على وجودها، دليل على امتناع الخالق عز وجل عن الإدراك والحس، بل أنه عز وجل يعرف بآثاره الدالة على وجوده.

٨. في كون نفسك محيطة بوجوداتها الذهنيّة على نحو العلم الحضوري، دليل على إحاطة الله عز وجل بكل الوجود بالعلم الحضوري.

٩. في كون نفسك مصدرا لإمداد هذه الوجودات الذهنية بالوجود، بمعنى لو قطعت نظرها إلى هذه الوجودات لانعدمت، دليل على ارتباط العالم كله بالله عز وجل، فلو قطع الله إفاضة الوجود على العالم لأنعدم العالم كله.

إذن – يا ولدي – هذه النقاط في ذاتك هي التي توصلك إلى معرفة ربك، فإن معرفة نفسك في وجودها اللاهوتي الخفي، واستطلاع الآيات والدلائل

منها، مضافا إلى استطلاع دلائل القدرة، ومظاهر القصد والحكمة في الكون الذي يحيطك، هما داعيان أساسيان إلى بناء معرفتك بفلسفة ومعنى وجودك، وما يجب عليك وما تستحقه في هذه الحياة، لذا فإن من الضرورة أن تصب المعرفة في ثلاثة خطوط مهمة لبناء وجودك هي:

١. خط المعرفة العقيدية.

٢. خط المعرفة التكليفية.

٣. خط المعرفة الأخلاقية.

١. المعرفة في خط العقيدة:

فبما أنّ العقيدة تولد معك – يا ولدي – وأنك منذ أن فتحت عينيك على الكون والحياة، وكما يقول الفلاسفة، ولدت معك ثلاثة أسئلة هي:

١. ما الذي يجب عليك معرفته؟.

٢. ما الذي يجب عليك عمله؟.

٣. ما الذي ترجوه وتعلّق آمالك عليه؟.

فهذه عقيدة فطرت عليها مع كل الإنسانية، هذه العقيدة تدعوك تلقاء إلى الخضوع والانقياد للأقوى، بغض النظر عن كون العقيدة قد استندت إلى المعرفة أم لم تستند.

إلا أنّ القرآن الكريم – يا ولدي – قد رفع شأن هذه العقيدة، وترفع بها عن الخرافات والأوهام والضلالات التي تتأتى عن الجهل والعفويّة والتقليد الأعمى، فأوكل أمرها إلى العلم والمعرفة والقناعة الفكريّة، لتكوين النظرة الفلسفية عن الكون والحياة بالدليل والحجة العقلية، **(قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)** (العنكبوت: ٢٠).

وذلك لأن العقيدة تعتبر مركز الطموح الإنساني، ولها المردود والأثر النفسي على مستوى البناء الحضاري الذي تنشده الأمم.

فعقيدتك الإسلامية – يا ولدي – هي استجابة لطموح فطرتك الإنسانية، التي تنزع إلى إعتناق الحقيقة الأكمل، والركون إلى الأقوى والأقدر، كما أنها استجابة إلى طموح عقلك وطريقته في التفكير، وعدم قبوله بالأساطير والأوهام والخرافات.

كما أنها – من ناحية ثالثة – استجابة لطموحك الإنساني إلى الكرامة والقدر والمكانة التي وضعك الله عز وجل فيها، وكرّمك بصفتك كائنا مفكرا، تتحرّى الحق والحقيقة، وتتعشق الحريّة والخلاص من كل الأصفاد والقيود المادية المذلة.

وعلى هذا الأساس – يا ولدي – فإنّ المعرفة في المجال الكوني وفي مجال النفس، من الأمور التي تسهم إسهاما رئيسيّا في بناء المعرفة لديك في مجال بناء هذه العقيدة كما عرفت.

على أنّ علماءنا ومفكرينا لم يقصّروا في بيان ذلك بالدّراسة والتفصيل، وبلورة الحجة والدليل، فيما طرحوه من كتب العقيدة من أجل صقل إيمانك وعقيدتك، انطلاقاً ممّا تركه أئمّة أهل البيت الهداة عليهم السلام من رصيد فكري، ثري بالحجّة والوضوح، لذا سأعرض لك عرضا سريعا موجزا لأساسيات بنود عقيدتك، متجردا عن الدخول في العلوم والمعارف الكلامية المعقدة.

۞ ۞ ۞

بنود العقيدة الإسلامية

أما بنود عقيدتك التي يتوجّب عليك معرفتها – يا ولدي – فهي تعني: إيمانك بالله وتوحيده، والعدل، والنبوّة، والإمامة، والمعاد إلى ربّك في اليوم الآخر.

١. الإيمان بالله تعالى:

ويتضمّن إيمانك بالله تعالى أمرين متلازمين:

أولا: إيمانك بوجود الخالق المدبّر للكون والحياة.

ثانيا: إيمانك بتوحيد الخالق عز وجل وتفرّده في الخلق والتدبير.

فبما أنك مؤمن بوجود الله عز وجل، فأنت لا محالة مؤمن بتوحيده، لأن وجود الله تعالى إنما يعني توحيده، كما أنّ توحيده يعني وجوده، فهما أمران متلازمان، لا ينفك أحدهما عن الآخر في ذات واجب الوجود جل في علاه، لأن الثنائية في وجود الله تجرّنا إلى الأسئلة الآتية:

١. هل أن أحد الإلهين قوي والآخر ضعيف ؟ فيثبت أن القوي هو الإله الواحد الأحد المنفرد بالتدبير.

٢. هل أن الإلهين ضعيفان ؟ فيلزم من ذلك احتياجهما إلى الأقوى، وبالتالي يكون هو الإله.

٣. هل أنَّ الإلهين قويان على حد سواء ؟ فيلزم من ذلك أن يتدافع كل منهما مع الآخر لينفرد بالتدبير.

وأصدع الأدلة على ذلك – يا ولدي – هو الدليل من واقع فطرتك التي تذعن وتعترف بهذا الخالق، شعرت بذلك أم لم تشعر، ولا يحجب هذا الإيمان والإذعان سوى المكابرة والمغالطة التي تحملها طبيعة الإنسان، وأعرض لك في نطاق هذا الدليل إشارتين:

الأولى: إشارة من كتاب الله، حيث قال تعالى: **(هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَاءتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ اللّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنِّ مِنَ الشَّاكِرِينَ * فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ)** (يونس: ٢٢).

الثانية: إشارة من أحاديث المعصومين عليهم السلام، (قال رجل للصادق عليه السلام: يا ابن رسول الله، دلني على الله ما هو؟ فقد أكثر علي المجادلون وحيروني.

فقال له: يا عبد الله، هل ركبت سفينة قط؟ قال: نعم، قال: فهل كسرت بك حيث لا سفينة تنجيك ولا سباحة تغنيك؟ قال: نعم، قال: فهل تعلق قلبك بأن شيئا من الأشياء قادر على أن يخلصك من ورطتك؟ قال: نعم، قال: فذلك الشيء هو الله القادر على الإنجاء حيث لا منجي، وعلى الإغاثة حيث لا مغيث)[1].

كما أعرض لك على توحيد الله عز وجل إشارتين:

الأولى: إشارة في كتاب الله، حيث قال تعالى: **(مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ)** (المؤمنون: ٩١).

الثانية: إشارة في أحاديث المعصومين عليهم السلام، كما قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته لولده الحسن عليه السلام: (واعلم يا بني لو كان لربّك شريك لأتتك رسله، ولرأيت آثار ملكه وسلطانه، ولعرفت أفعاله وصفاته، ولكنه إله واحد كما وصف نفسه..)[2].

---

١. بحار الأنوار : ٣ / ٤١.

٢. نهج البلاغة : ٣ / ٤٤.

٢. الإيمان بالعدل الإلهي:

من أجل أن تبني عقيدتك بهذا البند – يا ولدي – ينبغي أن تعرف مبادئ عدّة ، ومن هذه المبادئ:

أ. إن الإيمان بالعدل، هو عقيدة كل المسلمين، القائلين بحسن العدل وقبح الظلم عقلا، وفي مقدمتهم مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

والدليل على ذلك: أن كل إنسان مهما كان دينه ومسلكه وموقعه من بقاع الأرض، يدرك بالوجدان حسن الوفاء بالعهد، والصدق، ومقابلة الإحسان بالإحسان، وقبح نقائضها.

ب. أن العدل صفة كمال والظلم صفة نقص، ولا يمكن نسبة النقص إلى الله عز وجل، لأنه الكامل المطلق، فلا ينطلق أحد إلى فعل الظلم إلا من خلال أحد أربعة دوافع كلها مستحيلة على الله عز وجل:

١. إما أن يكون جاهلا بكون الفعل ظلما، والله تعالى منزه عن ذلك لأنه العالم المطلق.

٢. وإما أن يكون محتاجا إلى فعل الظلم، وتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، لأنه الغني المطلق.

٣. وإما أن يكون عاجزاً عن دفع هذا الفعل فغلبته نفسه على فعله، وتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، لأنه القادر المطلق.

٤. وإما أن يكون قد فعل الظلم للسفه وعدم المبالاة، وتعالى الله عن ذلك علوا كبيراً، لأنه الحكيم المطلق في أفعاله كافة.

ج. مضافا إلى استنادك في إيمانك بالعدل الإلهي إلى العقل، فلا تنس – يا ولدي – أن تنطلق كذلك من نفي القرآن الكريم لكل لون من ألوان الظلم عن الله عز وجل، قال تعالى: **(إِنَّ اللّهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا)** (النساء: ٤٠)، وقال تعالى: **(إِنَّ اللّهَ لاَ يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ)** (يونس:٤٤).

د. أمدد بنظرك – يا ولدي – في عدل الله عز وجل، تجد أنه قد ملأ أبعاد هذا الوجود في ثلاثة مجالات:

١. العدل في المجال الكوني: وهو ما أعطاه الله تعالى للموجودات الكونية من قوانين عادلة، استقام على ضوئها الكون في مسيرته وحركته **(رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى)** (طه: ٥٠).

٢. العدل في المجال التشريعي: وهو أن الله عز وجل، قد صب أوامره ونواهيه التي توجه سلوكك على أساس الحكمة والعدل **(إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)** (النحل: ٩٠).

كما أنه تعالى راعى فيما أعطاك من مواد تشريعية خواص اليسر، وعدم تكليفك بما لا يطاق **(يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ)** (البقرة: ١٧٨).

٣. العدل في مجال الجزاء: وهو أن الله عز وجل، يجزيك وفق استحقاقك من الثواب أو العقاب، **(وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ)** (الأنبياء: ٤٧)، ثم لا يمكن أن يساوي الله عز وجل بين المؤمن والكافر في الجزاء **(أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ)** (السجدة: ١٨).

۞ ۞ ۞

٣. الإيمان بالنبوة:

والنبوة – يا ولدي – هو الأصل الثالث من أصول عقيدتك، وهي حصيلة من عقيدتك بالعدل الإلهي، فاعلم أنّ من لوازم عدل الله عز وجل، هو بعث الأنبياء إلقاء للحجة على الناس بتبليغهم وتعليمهم، وبيان ما أمر الله به وما نهى عنه، ليكون الثواب والعقاب وفق الاستحقاق، **(لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ)** (الأنفال: ٤٢)، والنبوة على قسمين:

الأول: النبوة العامة: وهي الحركة التاريخية المتسلسلة لبعثة الأنبياء والرسل على مرّ العصور السابقة، إذ لم يخل فيها عصر من وجود نبيّ أو أكثر لإرشاد الناس، حتى بلغ عدد الأنبياء: (١٢٤) ألف نبيّ، منهم (٥) أولو العزم، وهم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمّد نبينا (عليه وعليهم الصلاة والسلام).

الثاني: النبوة الخاصة: وهي نبوة رسول الله محمد صلى الله عليه وآله الخاتمة، التي غطت كل المراحل الزمنية بآثارها وتوجيهاتها، وعليك – يا ولدي – أن تؤمن بهذه النبوة من خلال اتجاهين مهمين:

أ. أن تؤمن بالنبوة من خلال حاجتك إليها، لأنها تساهم في تطوير وتعميق إيمانك بربك، وتأهيلك لالتزام المنهج المنظم للتكليف، الذي يعتبر المائز بينك وبين بقية الكائنات، وإنقاذ إنسانيتك بهذا المنهج من طغيان الغرائز البهيمية، وتأهيلك للصعود في مدارج الكمال الإنساني.

ب. أن تؤمن بالنبوة من خلال الأدلة التي اجتمعت متظافرة على صدقها لرسول الله صلى الله عليه وآله، لاسيما وأن مثل هذا الإدّعاء يعتبر من الحساسية والخطورة بمكان في مجتمع الجزيرة، وهذه الأدلة هي:

١. الإخبار به على لسان النبي الذي قبله **(وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ)** (الصف: ٦).

٢. الشواهد والقرائن التاريخية التي تشير من ناحية: إلى سيرته ومعالم حياته قبل أن يبعث بالرسالة، ومن ناحية أخرى: تشير الشواهد إلى

الشخصيات التي آمنت به وصدقته، وهي من الشخصيات المعروفة المرموقة بالنبل والنزاهة، ومن ناحية ثالثة: تشير إلى إسلوبه الإنساني الرائع في العمل والدعوة إلى رسالته.

٣. اقتران دعوته بالمعجزة الخالدة الدالة على صدقه، وهي: معجزة القرآن، الذي تحدى به أرباب الفصاحة والبلاغة **(قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا)** (الإسراء: ٨٨).

ولعلك تسال – يا ولدي –: لماذا كان القرآن معجزة خاصّة برسول الله صلى الله عليه وآله؟ وهل من معاجز أخرى غير القرآن؟.

الجواب: أنّ الرّسالة التي جاء بها رسول الله صلى الله عليه وآله، هي خاتمة الرّسالات، فتحتاج إلى معجزة خالدة تتمشى معها عبر كلّ العصور. وهذا ما يميّز القرآن عن غيره من المعجزات الماديّة المحدودة التي جرت للأنبياء، وجرت لرسول الله صلى الله عليه وآله إلى جانب القرآن الكريم، كتسبيح الحصى، وانشقاق القمر.

ومن ناحية أخرى، فإن إعجاز القرآن الكريم هو من متطلبات العصر الذي بعث فيه رسول الله صلى الله عليه وآله، فكان مناسباً للفنّ السائد في واقع الجزيرة العربية آنذاك، وهو فن البلاغة الفصاحة فجاء القرآن معجزة للتحدي، بل ليمتدّ إعجازه على أبعد مديات الزمن في كل ناحية من نواحي الإعجاز البلاغي والتشريعي والعلمي ولذلك ألمح الإمام الصادق عليه السلام بقوله: (إن القرآن حي لم يمت وأنه يجري كما يجري الليل والنهار، وكما تجري الشمس والقمر ويجري على آخرنا كما يجري على أوّلنا..)[1].

طبعاً على يد حفظته والعالمين بظواهره وبواطنه وأسراره وهم قرناؤه في الإعجاز والمقام والمنزلة – يا ولدي – الذين أوكل الله عز وجل إليهم مسؤولية فهمه وإفهامه كما ستعرف في وظيفة الإمام في حياة الأمة.

---

١ . بحار الأنوار: ٤٠٤/٣٥.

وسأل رجل علي بن موسى الرضا عليه السلام فقال: (ما بال القرآن لا يزداد عند النشر والدرس إلا غضاضة؟

فقال عليه السلام: إن الله تعالى لم يجعله لزمانٍ دون زمان ولا لناسٍ دون ناس، فهو في كل زمان جديد، وعند كل قوم غض جديد إلى يوم القيامة) [1].

٤. الإيمان بالإمامة:

والإمامة – يا ولدي – هي من أصول وعقيدة المذهب الذي اختص به الإمامية عن سائر المسلمين، لذا عليك أن تأخذ عدّة من النقاط بعين الاعتبار، وهي:

أولاً: كما كان الحديث معك – يا ولدي – عن النبوة كمعتقد عام، مجردا عن الحديث عن كل نبيّ حسب تأريخه ومرحلته الزمنية لأن ذلك من مختصات سيرة الأنبياء عليهم السلام، فإن الحديث عن الإمامة يقع – أيضا – مجرّدا عن التجزئة في شخصيات الأئمة عليهم السلام كتأريخ له مراحله وظروفه ومحيطه لكل شخصية من شخصياتهم، لأن هذا ما تم تناوله في موسوعات السيرة والتأريخ التي ألف فيها الكثير من الكتاب المسلمين.

ثانياً: من البديهيات المعروفة – يا ولدي - أن أيا من أصحاب المؤسسات والمشاريع الكبرى، لابد أن يعين من يعتمد عليه في إدارة المؤسسة فترة غيابه، مهما كانت هذه الفترة، من أجل الإبقاء على هذه المؤسسة، والحفاظ على مسيرتها.

كيف برسول الله صلى الله عليه وآله وهو المصلح الأكبر لهذه الأمة، وهو المؤسس لقاعدة الدولة الإسلامية الكبرى على ضوء أطروحة السماء الجديدة للحياة، بجهود ومواقف وأتعاب مضنية، فهل يعقل أن يترك الأمة ويرحل عنها دونما – ولو إشارة – إلى من يخلفه في إدارة شؤونها والوقوف على حل قضاياها؟؟.

---

١ . البرهان في تفسير القرآن: ٢٨/١، مسند الإمام الرضا # للشيخ عزيز الله عطاردي: ٢٢/٢.

ثالثاً: من البديهيات المعروفة قبيل رحيل النبي صلى الله عليه وآله الذي كان يعلم: أن ناقوس الخطر كان يدق من قبل المثلث المشؤوم المتمثل في الروم، والفرس، والمنافقين، وهم يحاولون عرقلة كل المشاريع التي تصب في مصلحة الرسالة والأمة، ويتحركون باتجاه إسقاط كل ما بناه النبي صلى الله عليه وآله في حياة الأمة.

لاسيما وأن العنصرية القبلية لا تزال خيوطها قائمة، ولم تنحسر تماما عن واقع الأمّة، مما يشكل تهديدا من خلال ما يتوقع من إثارة الخلافات والصراعات، التي تحتاج إلى شخصية قوية تحتويها، فهل يصح والحال هذه أن يترك النبي صلى الله عليه وآله الأمة عرضة لهذا الخطر الخارجي والداخلي، بلا أن يعين لها من يقوم مقامه في رعاية مصلحة الرسالة ؟؟.

رابعاً: إعلم - يا ولدي - أنّ هناك نظريتين بالنسبة إلى تعيين الإمامة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله:

أ. النظرية القائلة: بأن رسول الله صلى الله عليه وآله قد نص بنفسه على تعيين الإمام أو الخليفة من بعده، بأمر من الله عز وجل.

ب. النظرية القائلة: بأن رسول الله صلى الله عليه وآله قد ترك الأمر إلى الأمة لتختار بنفسها من تراه لهذا المنصب.

ومن حقك – يا ولدي – أن تسأل: أي من هاتين النظريتين تساعد عليها الأدلة ؟، وإذا كان المتعين هو: النظرية (أ) التي عليها عقيدتي وعقيدتك، فهل لنا أن نعرف ماذا يستفاد من الكتاب والسنة؟.

الجواب: نعم، أن الأدلة من الكتاب والسنة والتأريخ تؤكد لك على أن رسول الله صلى الله عليه وآله سلك طريق النص على من يخلفه من بعده، آخذا بعين الاعتبار الأوامر والتوجيهات الإلهية، التي كان ينطلق من خلالها لبيان هذا الأمر على مسامع الأمة:

أما الكتاب الكريم: فقد كان يشير في أكثر من موضع، إلى من يليق بهذه المهمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، أذكر لك بعضا مما ورد في هذا الصدد، مثل قوله تعالى: **(أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ)**(النساء:٥٨).

وتعضدها الآية النازلة في قصة تصدق الإمام علي عليه السلام بالخاتم: **(إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ)** (المائدة: ٥٥)، وقوله تعالى: **(إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ)** (الرعد: ٨)، حيث وضع النبي صلى الله عليه وآله يده على صدره وقال: (أنا المنذر وعلي الهادي، وبك يا علي يهتدي المهتدون)[١].

وأما السنة المطهرة: فقد كانت هناك تأكيدات من النبي صلى الله عليه وآله على القضية الكبرى، وهي: ضرورة معرفة الإمام.

كما ورد عن أبي يعفور، قال: سألت أبا عبد الله الصادق عليه السلام عن قول رسول الله صلى الله عليه وآله: (من مات وليس له إمام فميتته ميتة جاهلية)، قال: قلت: ميتة كفر؟، فقال عليه السلام: (ميتة ضلال)[٢].

وأما تحديد من سيكون أهلا لهذه المهمة، ومن سيكون أهلا للإتباع والطاعة، فليس من المعقول – يا ولدي – أن يؤكد رسول الله صلى الله عليه وآله للأمة، على ضرورة الإمامة ومعرفة الإمام، وهو لا يرشدها إلى شخصية الإمام من بعده؟.

لذا أكد على إمامة أهل البيت عليهم السلام كما عن عبد العزيز بسنده إلى النبي صلى الله عليه وآله قال: (أنا وأهل بيتي شجرة في الجنة، أغصانها في الدنيا، فمن تمسك بها اتخذ إلى ربه سبيلا)[٣].

كما حفلت السنة المطهرة بنصوص وأحاديث لامعة مشهورة في كتب الفريقين عن رسول الله صلى الله عليه وآله، كان قد حدد فيها بصراحة على إمامة أمير المؤمنين علي عليه السلام، وإمامة من بعده من الأئمة عليهم السلام، وإليك – يا ولدي – عناوين هذه النصوص لا على سبيل الحصر لأنها في غاية الكثرة:

---

١. ينابيع المودة: ٩٩.

٢. الكافي : ٣٧٩/١.

٣. ذخائر العقبى: ١٦.

١. حديث الدار: وهو أول نص من النبي صلى الله عليه وآله إبان البعثة المباركة، غرس من خلاله في ذهن الأمة فكرة النص، حين كلفه الله تعالى أن يبلغ عشيرته الأقربين بالرسالة فقال تعالى: (**وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ**)(الشعراء:٢١٤).

٢. حديث المنزلة: يوم خرج النبي صلى الله عليه وآله إلى غزوة تبوك وخلف عليا عليه السلام في المدينة، فقال: أتخلفني في الصبيان والنساء؟ قال: (ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي)[١].

٣. حديث وليكم من بعدي: وهو في أكثر من موقف يؤكد النبي صلى الله عليه وآله فيه على الولاية، فيقول: (فإنه مني وأنا منه وهو وليكم من بعدي)[٢].

٤. حديث الثقلين: وهو حديث متواتر بأسانيد عدة، وفي مصادر شتى، ونص الحديث: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (إني تارك ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما)[٣].

٥. حديث الأمان: وهو الوصف الذي أعطاه النبي صلى الله عليه وآله لأهل البيت عليهم السلام، بصفتهم أمانا من الفرقة والإختلاف، وسببا لوحدة الأمة على طريق القرار والموقف، فقال صلى الله عليه وآله: (النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق، وأهل بيتي أمان من الإختلاف، فإذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب إبليس)[٤].

---

١. مسند أحمد: ١٨٢/١.

٢. المصدر نفسه: ٣٥٦/٥.

٣. الترمذي: ٣٠٨/٢.

٤. مستدرك الحاكم: ٣/ ١٤٩.

٦. حديث السفينة: وهو الحديث الذي شبّه فيه رسول الله صلى الله عليه وآله أهل بيته بسفينة نوح في قومه، فقال: (ألا إن مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح في قومه من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق)[١].

٧. حديث يكون من بعدي إثنا عشر خليفة: وهو من أظهر النصوص دلالة على اهتمام رسول الله صلى الله عليه وآله بالإمامة، وأنها تتسلسل حلقاتها في إثني عشر إماما، كما قال صلى الله عليه وآله: (يكون لهذه الأمة إثنا عشر خليفة قيما لا يضرهم من خذلهم كلهم من قريش)[٢].

٨. حديث الغدير: البالغ من الشهرة والتواتر في مصادر المسلمين رقما كبيرا، حتى جاء في بعض المصادر متصّلا بحديث الثقلين، يوم قام النبي صلى الله عليه وآله بين مكة والمدينة خطيبا في المسلمين في حجّة الوداع، فحمد الله تعالى وأثنى عليه، وقال ما شاء الله أن يقول، ثم قال:

(أيّها الناس إني تارك فيكم أمرين، لن تضلوا إن اتبعتموهما، وهما: كتاب الله وأهل بيتي عترتي - إلى أن قال -: أتعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم) – ثلاث مرات – قالوا: نعم، فقال: (من كنت مولاه فهذا علي مولاه)[٣].

---

١. مستدرك الحاكم: ٣٥١/٣.

٢. كنز العمال : ٦ / ٢٠١ .

٣. مستدرك الحاكم : ٣ / ١٠٩.

وظيفة الإمام في حياة الأمة

بعد أن عرفت – يا ولدي – ضرورة الإمامة، وطريقة تعيين الإمام بعد النبي صلى الله عليه وآله، بقي عليك أن تعرف ما وظيفة الإمام في حياة الأمة، وقبل بيان ذلك عليك معرفة أمرين مهمين:

الأول: أن إمامة الأئمّة عليهم السلام أعظم شأنا من نبوّة الأنبياء، عدا رسول الله صلى الله عليه وآله الذي جمع الله له النبوّة والإمامة، وكتب لكلمته الخلود ولرسالته البقاء، وجعله الخاتم لما سبق من النبوات، والفاتح لما استقبل من الإمامة.

الثاني: يشترك الأئمة عليهم السلام مع النبي صلى الله عليه وآله في الوظيفة – يا ولدي –عدا فرق واحد، هو: أن النبي صلى الله عليه وآله كان يتلقى العلم بوساطة الوحي مباشرة، أما الإمام فيتلقى علمه من الرسول صلى الله عليه وآله، لذا قال الإمام علي عليه السلام: (علمني رسول الله ألف باب من العلم فانفتح لي من كل باب ألف باب)[1].

وعلى هذا فإن الوظيفة التي يتبناها الإمام بعد الرسول صلى الله عليه وآله تتركز في بنود عدة:

١. تبني توضيح وبيان مفاهيم القرآن الكريم، وحل كل ما هو مبهم من مقاصد القرآن، التي لا يتيسر للناس فهمها وتفسيرها على امتداد الزمن، وهي عين الوظيفة التي أوكلت إلى النبي صلى الله عليه وآله **(وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ * بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)** (النحل: ٤٣ ـ٤٤).

٢. بيان الأحكام التكليفية، وتحديد المواقف العملية على ضوء الكتاب الكريم، كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقوم بتلاوة الآيات التي

---

١ . الطرائف، السيد ابن طاووس الحسني: ٥١٨.

تتضمن الأحكام والقرارات السماوية في حق المكلفين، وأخرى عن طريق النص عليها بما ألهم من طريق الوحي.

وقد بلغت النصوص الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله في باب الأحكام ما لا يزيد على ٥٠٠ حديثا، مما يدعو إلى المزيد من البيانات في المواقف والقضايا المتجددة في واقع الحياة، وهو يحتاج إلى شخصية معتمدة مؤهلة لهذا الأمر.

٣. حراسة الرسالة، وصيانة التشريع عن التلاعب والتغيير، وعن تسرب الباطل والتحريف، وحماية عقيدة الأمّة من الانحراف والتشتت الفكري، فالإمام بعد الرسول صلى الله عليه وآله يعتبر المحور الذي يدور حوله الحق والصواب، والهادي له في قوله وعمله وتقريره، لذا تعتبر هذه الأبعاد لسلوك الإمام عليه السلام حجّة على العباد، وتشكل كل واحدة منها دليلا ينطلق المكلف من خلاله لتحديد الموقف العملي.

٤. أن الإمام عليه السلام، ومن خلال ما منحه الله عز وجل من الفطنة والذكاء والموهبة الخارقة، يعتبر المفزع لكلّ معضلة وقضيّة مستعصية على الحل، كما تقرأ – يا ولدي – في تأريخ الإمام علي عليه السلام في عصر الخلفاء، كانت ترفع إليه معضلات المسائل، ويتولى الإجابة عنها بلا توقف، وكان يرشد الأمة في كثير من مواقع الحيرة، إلى ما هو حق وصواب، حتى شهد بذلك الخليفة الأول قائلا: لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها علي، وللخليفة الثاني قوله: لو لا علي لهلك عمر.

٥. حفظ ثغور المسلمين وحدودهم، وحفظ الثروات من الضّياع والتعدّي، وهذا وإن كان متيسّرا من قبل الخليفة العادي، ولكن الأمور الأخرى، تحتاج إلى شخصيّة تتمتع بطاقات علميّة فائقة، وتتحرّك بذكاء وعبقريّة خارقة، لذا يصبحُ من الحتم، الحاجة إلى عصمةِ الإمام عليه السلام في كل خلاله وخصاله وأبعاد شخصيّته.

عصمة الإمام شرط في إمامته

هذا ما نعتقد به – يا ولدي – بحكم تلك الوظيفة، التي تحتاج إلى شخصية قيادية مسدّدة تسديدا خاصا من قبل الله عز وجل، لأنها لا تختلف عن وظيفة النبي صلى الله عليه وآله في الأمة، ومن أبرز الأدلة على حتمية العصمة في شخصية الإمام عليه السلام هي:

أولا: أن الله تعالى أذهب عنهم الرجس، بحكم الإرادة التكوينية التي لا تتخلف عن المراد **(إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)** (الأحزاب: ٣٣)، عن كل أنواع الرجس الذي يشمل المعاصي والنقائص كافة، أما الإرادة التشريعية، فهي تتعلق بجميع الناس كما قال تعالى: **(وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)** (المائدة: ٦)، ويمكن أن تتخلف هذه الإرادة، في مسيرة الناس الذين يتمرّدون على إرادة التشريع.

ولعلك تسأل – يا ولدي – هلا تسلب الإرادة التكوينيّة خاصيّة الإختيار لدى المعصومين عليهم السلام فيكونون مجبورين تلقاء على ترك المعاصي والذنوب؟ الجواب: كلا – يا ولدي – لأن العصمة تعتمد على عنصرين في شخصية المعصوم عليهم السلام:

الأول: العلم والمعرفة، والوعي الفائق، والإدراك العالي الدقيق لآثار العمل السيء ونتائجه، ممّا يجعل من المعصوم شخصيّة في غاية النزاهة والالتزام، كمن يعلم يقينا بأن في المأكول الفلاني سمّا زعافا قاتلا، فيمتنع عنه، وكمن يعلم يقينا بأنّ سلوك هذا الطريق يؤدّي به إلى الهلكة لوجود حيوان مفترس قاتل فلا يسلكه، هذا الوضوح الدقيق في الرّؤية لدى الإمام عليه السلام هو من أنواع التسديد الرّباني، الذي يبقى معه الإمام محتفظا بإرادته وإختياره في التصرّف.

الثاني: عنصر الحب لله عز وجل، والفناء في ذاته، والحرص على رضاه، وذلك للمعرفة الدقيقة والوعي الفائق لمقام الله تعالى في نفس المعصوم عليهم السلام لذا جاء في بعض أدعية الإمام السجاد عليه السلام

قوله: (سبحانك عجبا من عرفك كيف لا يخافك)[1]، إنّ هذا الوعي الدقيق الذي يحمله الإمام عليه السلام لمقام المعبود عز وجل، يجعله يتفانى في رضائه، ويذوب في طاعته.

ثانيا: من الأدلة على العصمة – يا ولدي – ما عرفته في حديث الثقلين الذي يقرن فيه رسول الله صلى الله عليه وآله بين القرآن والعترة الطاهرة، ومقتضى ذلك: أن يأخذ الإمام الخصائص نفسها التي للقرآن، ومنها العناية الرّبانية به، وصيانته من التحريف والباطل بكل أنواعه.

ثالثا: ما عرفته – يا ولدي – من حديث السفينة، الذي شبّه فيه رسول الله صلى الله عليه وآله أهل البيت عليهم السلام بسفينة نوح في قومه، لكونها كانت وسيلة للنجاة من الغرق في خضم الأمواج العاتية، ولم تتحقق النجاة ما لم تكن السفينة محكمة الصّنع، سليمة من كلّ عيب، فهكذا الإمام عليه السلام لا ينجي الأمّة من أمواج الفتن والخلافات والنزاعات والانحرافات ما لم يكن يتمتع بحصانة وتسديد.

---

١ . معجم رجال الحديث، السيد الخوئي: ٥/١٤٣.

٥. الإيمان بالآخرة:

وهذا الأصل – يا ولدي – في غاية الأهمية من بين أصول العقيدة، وذلك لعلاقته بعدل الله عز وجل وحكمته في الخلق من ناحية، ومن ناحية أخرى: إنّ الإيمان بالآخرة يعمّق من إيمانك، ويجعلك على التحام دائم بالمثل الأعلى جل في علاه. لذا عليك أن تتفهم هذا الأصل العقائدي على ضوء النقاط الآتية:

أولا: إنّ هذا الأصل – يا ولدي – من الأصول التي اتفقت عليها الشرائع السماوية كافة، وإنّ الإيمان باليوم الآخر، هو في مقدّمة ما دعا إليه كل الأنبياء والرّسل، وذلك لصلته بالغيب الذي يعتبر مصدر تموين ثري، وهدى دائماً لكل الأعمال والنشاطات **(والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)** (البقرة:٤-٥).

ثانيا: من خلال استعمال القرآن الكريم، للفظ الآخرة في مقابل الدنيا، في كثير من نصوصه الشريفة، مثل قوله تعالى: **(أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ)**(التوبة: ٣٨). وفي قوله تعالى: **(أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُاْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآَخِرَةِ فَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ)** (البقرة: ٨٦). نستوحي من ذلك أن الآخرة مفهوم شامل يستوعب المراحل كافة التي يمر بها الإنسان، ابتداء بالاحتضار للموت، وانتهاء بالقيامة والنشور واتخاذ القرار من قبل الله عز وجل في حق العبد، إما إلى جنة وإما إلى نار.

أما مصطلح (المعاد) – يا ولدي – فهو ينطبق على اليوم الذي يعاد فيه الإنسان بالروح والجسد من جديد لأجل الحساب، كما في قوله تعالى:

(يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاء كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ) (الأنبياء: ١٠٤)، وعلى هذا الأساس فالمعاد بالروح والجسد، هو مرحلة من مراحل الآخرة.

ثالثا: لقد أقيمت على هذا الأصل – يا ولدي –أدلة عدة من قبل الحكماء وعلماء الكلام، يشكل القرآن الكريم مصدرا للإلهام بهذه الأدلة، لذا عليّ أن أضع بين يديك – يا ولدي – عددا من الأدلة على حتمية هذه العقيدة:

أ. عرفت – يا ولدي – أن من خلال الحديث عن توحيد الله تعالى في ذاته وصفاته، أنه تعالى حق مطلق، وفعله حق منزه عن كلّ عبث، لذا فإن خلق الإنسان ووضعه في معترك هذه الحياة، وفي واقع الصراع فيها بين الخير والشر والحق والباطل، دونما نتيجة تذكر فيما بعد الموت، يعد لغوا وعبثا، والله تعالى يقول: **(أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ)** (المؤمنون: ١١٥).

ب. عرفت – يا ولدي – أن الله تعالى عدل مطلق في كل أفعاله وقراراته، منزه عن الظلم لخلقه، وبما أنّ هناك من البشر من هو ظالم ومظلوم، ومن هو فاسق و مؤمن، وهم متساوون في العطاء الرّباني في الحياة الدنيا، بل قد يكون الكافرون والظالمون في الحياة الدنيا أوفر حظا من المؤمنين.

فإذا كانت عجلة الحياة تتوقف عندما يودع الإنسان القبر، وليس هناك عودة للجزاء على ضوء الطاعة والمعصية، كان ذلك ظلما للمؤمنين والمحسنين من الناس الذين أعطوا وبذلوا وأوذوا في الله، وتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، وهو القائل: **(أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ)** (ص: ٢٨).

ج. أن الله تعالى خلق الإنسان من ذرة حقيرة، وقد تكامل في رحم أمه حتى ولجته الروح وهي نفخة من روح الله تعالى، فقال تعالى: **(ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ)** (المؤمنون:١٤ – ١٥).

أي: أن الإنسان يمر من مرحلة النطفة القذرة، إلى مرحلة ولوج الروح ليتكامل في بطن أمه، ثم إلى مرحلة التكامل العقلي والروحي في الحياة الدنيا، ليتهيأ للانتقال إلى قمة الكمال الإنساني في الآخرة، وهذا التدرج ينسجم مع المطلب الفطري للإنسان الذي يسعى إلى الكمال الإنساني، لذا فإن العالم الأخروي يعتبر كمالا منشودا للفطرة التي فطر الله الناس عليها.

۞ ۞ ۞

متى تبدأ الآخرة؟:

إنه سؤال قد يخطر على ذهنك – يا ولدي – لتعرف متى تبدأ الآخرة في حياتك، فاعلم أن عالم الآخرة يبدأ حسب التسلسل الآتي:

١. الاحتضار: عندما تستعد الروح للخروج من الجسد، **(وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُم حَفَظَةً حَتَّىَ إِذَا جَاء أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ * ثُمَّ رُدُّواْ إِلَى اللّهِ مَوْلاَهُمُ الْحَقِّ)**(الأنعام:٦١ – ٦٢)، وجاء في الحديث: (إذا مات أحدكم فقد قامت قيامته)[١].

وتستطيع أن تستوحي – يا ولدي – من كلمة (توفته رسلنا) أن معنى الوفاة، هي: استلام الشيء وأخذه، وبهذا تعرف أن الموت لا يعني العدم، بل هو وجود بكيفية أخرى، أي: أن الروح تنتقل من العالم الدنيوي إلى عالم الأخروي.

٢. البرزخ: الذي يعني أن الموت ليس نقطة النهاية – يا ولدي – وإنما هو انتقال الروح إلى نشأة بين نشأتين، تسمى البرزخ، وهو الحد الفاصل بين الشيئين، لذا فالبرزخ، هو: وجود بين الدنيا، وبين عالم البعث والنشور، **(حَتَّى إِذَا جَاء أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ)** (المؤمنون:٩٩ – ١٠٠).

والبرزخ – يا ولدي – إما مظهر من مظاهر النعيم والرحمة للمؤمن الملتزم، وإما هو مظهر من مظاهر العذاب والنار للكافر والفاسق، لذا ورد في الحديث الشريف: (القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار)[٢].

---

١ . كنز العمال، المتقي الهندي: ٥٤٨/١٥.

٢ . مجمع الزوائد، الهيثمي: ٤٦/٢.

يتبين ذلك – يا ولدي – من خلال السؤال الذي يتوجه للإنسان في قبره، وهو من الأمور المسلمة عند أئمة أهل البيت عليهم السلام وقد ذكر ذلك علماؤنا في كتب العقائد.

وقال الشيخ الصدوق: (اعتقادنا في المساءلة في القبر أنه حق لا بد منه، فمن أجاب بالصواب فاز بروح وريحان في قبره وبجنة نعيم في الآخرة، ومن لم يجب بالصواب فله نزل من حميم في قبره وتصلية جحيم في الآخرة)[1]

٣. القيامة: وهي المثول بين يدي الله عز وجل للحساب، وهو غير المساءلة، لأن المساءلة – يا ولدي – هي عملية تحقيق وأخذ الإعتراف، وإحصاء الحسنات والسيئات في القبر كما عرفت، وحفظ ذلك في كتاب إلى يوم القيامة، كما قال تعالى: **(وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا * اقْرَأْ كَتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا)** (الإسراء: ١٣-١٤)، أما عملية الحساب فتتم يوم القيامة والنشور.

۞ ۞ ۞

١. اعتقادات الصدوق: ٣٧.

٢. المعرفة في خط التكليف:

فانّ رسالة التكليف – يا ولدي – من تطلعات فطرتك الإنسانية، فكما كان لديك سؤال على مستوى العقيدة عن علة الكون وسببه الأعمق، فإنّ لديك سؤالا آخر عن واجبك وتكليفك تجاه خالقك. ولم يترك الله عز وجل تطلعك هذا بلا جواب، فقال عز وجل: **(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)** (الذاريات/ ٥٧) .

ولكن يبقى السؤال – يا ولدي – قائما في نفسك ونفوس الكثير من الناس: وهل أنّ الله محتاج إلى وجود الإنسان وتكليفه بالواجبات؟، فما الضرورة لخلق الإنسان وعبادته إذا كان الله عز وجل غنيّا عن هذا الوجود والتكليف؟، فهنا ينشق السؤال إلى فرعين:

أ. لماذا الخلق؟

ب. لماذا العبادة؟

فالجواب على الفرع الأول: إنّ في هذا الخلق – يا ولدي – حكمة للخالق عز وجل، ونعمة للمخلوق:

أما كونه حكمة للخالق: فهو الكنز الذي لا بد أن يعرف، كما يروى أنه جاء في الحديث القدسي: (كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف، فخلقت الخلق لكي أعرف)[1].

ومن الطبيعي – يا ولدي – أنّ الله عز وجل أحبّ أن يظهر من الخفاء ويعرف، ولكن لا من خلال الحاجة إلى هذا الظهور أو حاجته إلى المعرفة، لأنّ الحاجة بالنسبة إلى الله عز وجل نقص، وتعالى الله عن كل نقص. فهو تعالى يحبّ أن يظهر ويعرف من حيث كماله المطلق، لا كما نحب نحن أن نعرف من حيث نقصنا وحاجتنا.

---

١ . الغدير، الشيخ الأميني: ٨٣٨/١١.

إن حبه للظهور والمعرفة – يا ولدي – يعني إرادته الحتمية، لأنه العلة الأعمق لهذا الوجود، ولأنه الواجب الذي يؤثر في الممكن.

وأما كونه نعمة للمخلوق – يا ولدي – فقد كلفنا الله عز وجل بالواجبات، من أجل أن نملأ فراغا في أنفسنا، ونسد نقصا في شخصياتنا.

إذن: إنَّما يحب الله عزّ وجلّ أن يعرفَ، لأن مردود المعرفة يعود بالإيجابية، والخير، والنعمة، والرحمة علينا، لأجل أن نتكامل وتسمو إنسانيتنا بهذه المعرفة.

والجواب على الفرع الثاني: بما أن وجودك – يا ولدي - رشحة من وجود الله عز وجل، وبما أن الله عز وجل قد فطرك على حب وجودك، فكان خلقك استجابة لفطرتك، وكان وجودك نعمة عليك من ربك. لذا فقد لزم عليك أن تقوم بواجب الشكر لهذه النعمة، وهو ما تمليه عليك فطرتك قبل أن يتوجه إليك أمر مولاك بالطاعة.

ومن ناحية أخرى: يا ولدي فإن تكليف الله عز وجل إياك بالعبادة، ليس لحاجة منه تعالى إلى عبادتك، بل لحاجتك إليه، من أجل توجيه وجودك وتهذيبه وترقيته عن الوجودات الأخرى، ولتحقق معنى الخلافة له عز وجل في أرضه.

وعلى هذا الأساس، لابدّ من أن تتحدّد لك رسالتك في هذه الحياة، ويرسم لك منهج التكليف وفق الطريقة العلمية، ليكون عملك، وحركتك، وكلامك، وصمتك، وكسبك، وسعيك، وتعاملك الاجتماعي وفق نظام متكامل، ومنهاج قائم على أساس المعرفة والعلم بالأحكام والسنن، لا على أساس الهوى، قال عز وجل: **(ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)** (الجاثية: ١٨).

أسس المعرفة بالأحكام

تخلصا من إتباع أهواء النفس، وأهواء الذين لا يعلمون، ومن أجل الوصول إلى معرفة الأحكام التكليفية، فقد رسمت لك الشريعة ثلاثة أسس هي:

الأول: الاجتهاد:

وهو بذل الجهد العلمي من أجل الحصول على معرفة الحكم الشرعي مباشرة عن طريق الاستنباط.

وهو أي: الاجتهاد – يا ولدي – أمر صعب لا يتيسر لكل أحد من الناس، بل لابد من وجود من يتفرّغ كلّيا للدرس والبحث والتحقيق في العلوم التي تقع في طريق استنباط الأحكام الشرعية، حتى يبلغ الإنسان هذه المرتبة، التي يستطيع معها أن يحدد بنفسه موقفه العملي، فعليه أن يعمل هو بفتواه في الأبواب التي اجتهد فيها، دون الحاجة إلى أن يأخذ من غيره.

فإذا ما وجد في نفسه الكفاءة العالية بالاجتهاد المطلق في كل الأبواب، وبشهادة الخبراء من أهل العلم، كان عليه أن يتصدى بنفسه للمسؤولية ليقلده الغير ويرجع إليه الناس في مشاكلهم وقضاياهم في كافة الأبواب الفقهية.

ولذلك يعتبر الاجتهاد واجبا كفائياً، بمعنى لو تصدى البعض لهذه المهمّة سقط عن الآخرين. فلا ينبغي أن يخلو زمان من وجود المجتهد، لأن من وظيفة الاجتهاد إحياء لدور الرسالة في حياة الأمة لعلاج قضاياها وإرشادها الحلول الشرعية.

وقد نص القرآن الكريم على توجه هذا البعض لتحصيل هذه المرتبة بقوله تعالى: **﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾** (التوبة:١٢٢).

الثاني: الاحتياط:

وذلك – يا ولدي – إذا كان بوسع الإنسان أن يحتاط، بمعنى أن يعمل بأحوط الأقوال والفتاوى وأبرئها للذمة، وهذا لا يحصل عادة إلا لمن استوعب آراء الفقهاء وفتاواهم لعلاج الموقف، فشأنه كمن أعطي أكثر من وصفة دوائية لعلاج مرضه، وهو يعلم أنّ في بعضها محذورا صحيّا، إلا واحدة منها تؤدّي ذات الغرض مع خلوّها من المحذور، أو لكونها أقل ضررا من غيرها، فيلتزمها ضمانا للسلامة.

الثالث: التقليد:

وهو يعني رجوعك إلى أهل الخبرة في أخذ الأحكام الشرعية، وهو أمر طبيعي ومطلوب – يا ولدي - تحتّمه الحاجة والضّرورة في أيّ مجال من مجالات الحياة. فإن رجوع المريض إلى الطبيب الاختصاصي، وتقليده المسؤولية في تشخيص الداء وتحديد الدواء باعتباره مختصا خبيرا بذلك، فهو تقليد.

ويسمى مثل هذا الرجوع: التقليد العلمي، وهكذا في الهندسة والصناعة وغيرها من الاختصاصات في شؤون الحياة ومجالاتها . فكذلك رجوعك – يا ولدي – والمكلفين كافة إلى الفقهاء، والعمل اعتماداً على فتاواهم، هو التقليد العلمي، بل هو أرقى معاني التقليد، لأنه يدخل في شعب ومجالات الحياة كافة.

واعلم – يا ولدي – إن التقليد لا يشمل الأصول الإعتقاديّة التي سبق الحديث عنها، ولا الضرورات البديهيّة، كوجوب الصلاة والصيام وغيرها من الواجبات. وإنما يختص التقليد في تفاصيل الأعمال، وما يطرأ عليها من عوارض تتطلب الحل، ويشمل التقليد مسائل الحلال والحرام والمكروه من الممارسات، فيما لم يرد فيه نص شرعي من المستحدثات، استنادا إلى القواعد والمسلّمات الثابتة في ذهن المجتهد.

ولذا يعتبر عمل المكلف الذي لا خبرة له بالأحكام الشرعية بلا تقليد باطلا، إلا في حالة موافقته لفتوى المجتهد، إذا التفت المكلف بعد حين إلى التزام التقليد.

ولا ننسى – يا ولدي – إنّ الذي أرشد إلى تقليد الفقيه الجامع لشروط التقليد، هو الإمام الحجة المنتظر أرواحنا فداه، الذي قال إبّان غيبته: (وأمّا

الحوادث الواقعة، فارجعوا بها إلى رواة حديثنا، فإنهم حجتي عليكم، وأنا حجة الله عليهم)[1]، وقال الإمام العسكري عليه السلام: في حديث طويل: فأما من كان من الفقراء صائنا لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفا لهواه، مطيعا لأمر مولاه، فعلى العوام أن يقلّدوه)[2].

أي: أنْ يضعوا أعمالهم كالقلادة في عنقه وتحت مسؤوليّته، فيرجعون إليه فيما جهلوه من الأحكام الشرعية. ولذلك فإنه ليس بالأمر الهيّن والسهل، أن يتصدّى إلى هذه المسؤولية كائنا من يكون، ممّن لا قدرة له على استنباط الأحكام الشرعية بصورة دقيقة.

لاسيما في مرحلة يبتعد فيها الناس عن عصر المعصوم عليه السلام، وتتعقد فيها المشاكل والقضايا، ممّا يحتاج إلى الكفاءة والدقة في وضع الحلول الشرعية عن طريق الدليل والحجّة الشرعية، تخلصا من الظنون والخرص الذي يتجاوز به العلم.

فهذه الطرق الثلاث – يا ولدي – هي الطرق العلمية لأخذ الأحكام، من أجل حماية نفسك من الشكوك والأوهام والأباطيل، ورفض كل ما لم يقم لديك عليه حجة أو دليل، وقد حث القرآن الكريم على إتباع هذا المنهج العلمي.

وأنكر على الذين يتبعون الظن الذي لا قيمة له في تحديد المواقف العملية، فقال تعالى: **(وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا)** (النجم: ٢٨)، وقال تعالى: **(أَلا إِنَّ لِلّهِ مَن فِي السَّمَاوَات وَمَن فِي الأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ شُرَكَاء إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ)** (الأنعام: ١١٦)، وقال تعالى: **(وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً)** (الإسراء:٣٦).

---

١ . القضايا والشهادات، الشيخ الأنصاري: ٧٠.

٢ . نهج السعادة، الشيخ المحمودي: ٤٠/٧.

٣. المعرفة في خط الأخلاق:

ويعني هذا الخط – يا ولدي – أنّ هناك رسالة أخرى عليك أن تكون واعيا لها في الحياة، وهي: رسالة الأخلاق، التي ترتبط بحركة العاطفة الإنسانية التي تنطلق من خلالها في علاقاتك الاجتماعية، وقد بلغها رسول الله صلى الله عليه وآله إلى جانب تبليغ الرسالة التكليفية، فقال: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)[١].

بمعنى: أن مكارم الأخلاق من ناحية: هي مجموعة من الخصال والصفات التي تلتزمها وتحتضنها فطرتك التي فطرك الله عليها، ومن ناحية أخرى: إن رسالتك الإسلامية هي التي تنميها وتطورها في حياتك، وتحولها إلى واقع تطبيقي متحرك في علاقاتك الاجتماعية، لذا يقع الحديث حول هذا الخط في ثلاث نقاط:

الأولى: الأخلاق بين التوعية والترويض: بمعنى أن الرسالة التي بعث بها رسول الله صلى الله عليه وآله، قد انتهجت لتحقيق الأهداف الأخلاقية في حياتك طريقين:

أ. التوعية الأخلاقية: التي تعني التزام منهج تربوي عليك أن تنتهجه – يا ولدي – لبناء المعرفة بالأخلاق والقيم الإسلامية النبيلة، وتحديد مفاهيمها المعمقة في فكرك، كالصدق، والأمانة، والحلم، والتواضع، والصبر، وغيرها من مما تحتاج إلى معرفة مفهومه ومواضع تطبيقه.

مضافا إلى ذلك تبنت الرسالة الحث على الالتزام بها، والتحرك في إطارها، وتحريك وجهتك نحوها في معاملاتك وعلاقاتك الاجتماعية **(فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْاْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)** (هود: ١١٢)، وعن رسول الله صلى الله عليه وآله حين سئل: أي المؤمنين أفضلهم إيمانا؟ فقال: (أحسنهم خلقا)[٢]، وقال صلى الله عليه وآله: (إن الله ليعطي العبد من الثواب على حسن الخلق كما يعطي المجاهد في سبيل

---

١ . مسند الشهاب، ابن سلامة:١٩٣/٢.

٢ . الفتاوي الميسرة، السيد علي السيستاني: ٢٧٦.

الله)[1]، وقال صلى الله عليه وآله: (إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق)[2].

ب. الرياضة السلوكية: وهي تعني – يا ولدي – أن توطن نفسك على هذا السلوك أو ذاك، لتنمية ملكات النفس، فإن لم تكن صبرا فتصبّر، وإن لم تكن حليما فتحلم، قال تعالى: **(وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا)**(العنكبوت:٦٩)، وقال الإمام الصادق عليه السلام: (الخلق خلقان: أحدهما نية والآخر سجية، قيل: أيهما أفضل؟قال: النية لأن صاحب السجية مجبول على أمر لا يستطيع غيره، وصاحب النية يتصبر على الطاعة تصبرا فهذا أفضل)[3].

الثانية: خطوات الرسالة في تربية الحس الأخلاقي: بمعنى أن هناك خطوات انتهجها الإسلام في سبيل تنمية وتكامل الحس الأخلاقي لديك – يا ولدي – وأعني بالحس الأخلاقي: الإحساس الباطني بالخير والشر، مما يؤكد لديك القدرة على التمييز بينهما، ومن ثم الاندفاع نحو العمل بهذا وترك ذاك، فقد سلكت الرسالة الإسلامية في هذا الاتجاه ثلاثة طرق:

أ. التعريف بالقيم والمثل الأخلاقية، كونها قيما ثابتة ومتأصلة في صميم فطرتك الإنسانية، كما أنها مبادئ واضحة لا خلاف عليها، كالرحمة، والإخلاص، والصّدق، والعدل، والإحسان، وغيرها من المبادئ والقيم التي تراعى في الظروف والأحوال كافة، لذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله، مشيرا إلى تأصلها في واقع الفطرة الإنسانية: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق).

ب. تربية الشعور والإحساس بحلاوة الالتزام بهذه القيم، من خلال الإحساس بالثواب والعقاب، بحيث تتحسس – يا ولدي – حلاوة عملك الصالح ومرارة عملك السيئ، وهي علامة تميزك عن غيرك من الناس، لذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (من سرته حسنته، و ساءته سيئته فهو

---

١ . تفسير ابن كثير: ٤٥٨/٣.

٢ . شرح كلمات أمير المؤمنين، عبد الوهاب: ٥٧.

٣ . مستدرك سفينة البحار، الشيخ علي النمازي: ١٧٦/٣.

مؤمن)[1]، وقال صلى الله عليه وآله: (إذا سرتك حسنتك وساءتك سيئتك فأنت مؤمن)[2].

ومن هنا – يا ولدي – تعتبر الأخلاق والقيم في حياتك إنسانية إسلامية، وفي حياة غيرك من الناس إنسانية فقط، لأنك تنطلق لتطبيق القيم الأخلاقية من منطلق إيمانك بأن هذه القيم من واقع فطرتك ورسالتك معا، فتبتغي مرضاة الله عز وجل في كل ما تلتزم به من محاسن الأخلاق.

أما غيرك – يا ولدي – كالإنسان الأوربي أو أي إنسان بعيد عن الإسلام، الذي قد ترى لديه قيما أخلاقية معينة، كالصدق، والأمانة، والوفاء، وغيرها، فقد تكون الأخلاق لديه فناً من الفنون العملية، التي تخدم حياته الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، فهي لا تحمل معها وهج الإيمان بالله تعالى ولا رجاء ثوابه أو وقاية عقابه.

ج. إيجاد القدوات الصالحة – يا ولدي – التي تعتبر موضع قدوة لك ولغيرك، وهم الأنبياء والرسل والأئمة والأولياء، **(أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ)** (الأنعام: ٩٠)، وفي مقدمتهم المثل الأعلى للقدوة الحسنة رسول الله صلى الله عليه وآله **(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا)** (الأحزاب: ٢١)، مضافا إلى ما امتلأ به تأريخ الرسالة الإسلامية من أمثلة ومواقف أخلاقية فذة، تجسدت في سلوك الأولياء والصالحين، الذين اغتذوا أخلاقهم وقيمهم العالية من مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

الثالثة: مكونات الموقف الأخلاقي: بمعنى: أن تعرف – يا ولدي – أن أي موقف عملي من المواقف الأخلاقية، إنما يتم عن طريق توفر المكونات والعناصر التي تجسد هذا الموقف أو ذاك في حياتك العملية، فهناك ثلاثة عناصر تشترك في تحديد الموقف الأخلاقي لديك:

---

١ . عيون أخبار الرضا: الشيخ الصدوق: ١٢٥/٢.

٢ . المستدرك، الحاكم النيسابوري: ١٤/١.

أ. القيم والمبادئ الأخلاقية: وهي: المقاييس نفسها التي يقاس على ضوئها السلوك الخارجي، وهذه القيم التي ذكرت لك أن عليك أن تعرف مفاهيمها، كالصدق، والعدل، والشجاعة، والصبر، وغيرها مما ذكرت لك.

ب. الملكات الأخلاقية: التي تعني – يا ولدي – أن لديك قوة باطنية متأصلة في واقع النفس، هذه القوة، هي الملكة التي تحركك نحو فعل أخلاقي معين بالاتجاه الإيجابي، فملكة الصدق – مثلا – تحرّكك نحو تجسيد الصدق كموقف من المواقف دونما كلفة أو معاناة.

ج. الموضوعات الأخلاقية: التي تعني – يا ولدي – الأفعال التي تتجسد في مبادئها الأخلاقية على صعيد الواقع الخارجي، مثال ذلك: أن العدل مبدأ أخلاقي، وفي الوقت نفسه هو قوة وملكة باطنة. لذا تحركك هذه القوة الباطنة باتجاه الفعل الذي يعني: وضع للشيء في موضعه، بنحو يتطابق هذا الفعل الخارجي مع المبدأ والمقياس العام للعدل الذي عرفت مفهومه، ليتكون لديك موضوع أخلاقي.

لذا فقد كانت الغاية من الخطوات التي خطتها رسالتك، هي: تطوير وتنمية الموقف الأخلاقي في حياتك، وتحويله من الموقف العابر إلى كونه صفة أخلاقية ثابتة، وخصلة من الخصال التي تتحرك في علاقاتك ومعاملاتك الاجتماعية كافة.

إذ قد يستأسد الجبان في ظرف من الظروف، أو قد يعدل الظالم، أو يصدق الكاذب بتأثير هذا الظرف أو ذاك، فإذا ارتفع الظرف وتغير الحال عاد إلى طبيعته، لذا أراد الإسلام أن يجعل من الأخلاق الحسنة رسالة في حياتك، لا تتأثر بالظروف والأحوال.

فقد كانت خطى الرسالة الإسلامية في حياتك – يا ولدي – تؤكد على:

١. تنمية الملكات والنوازع الخيرة في أعماق نفسك، لكي تتغلب على نوازع الشر في النفس الأمارة بالسوء، والحد من النوازع الشريرة التي تحاول أن تحرف مسيرتك عن خط رسالتك.

٢. تمكينك من الالتزام العملي بلا معاناة ولا تكلف، لأن الموقف الأخلاقي في إطار الظرف الذي يقتضيه، يؤجج الصراع بين الاتجاه الباطني وبين السلوك الخارجي الذي تمارسه في محيطك.

٣. توفير السعادة النفسية لك من خلال الاستقرار والاتزان النفسي الباطني، الذي يعني الانسجام بين هذه المكونات التي تظافرت وأعطت نتائجها في تجسيد الموقف الأخلاقي بالاتجاه الإيجابي في حياتك.

هذا – يا ولدي – مجمل معنى المعرفة بالمعنى الأعم، ومجالاتها التي تحتم على الإنسان المؤمن – بالخصوص – أن ينال فيها قصب السبق إلى الحظ الأكبر، ليسمو بشخصه إلى المستوى الواعي لمسؤوليته، والعامل ضمن دائرتها.

المحـور الثـاني
المعـرفـة بالمعـنى الأخــص

المعرفة بالمعنى الأخص

وهي تعني الدّرجة الأعلى، من درجات القناعة والاطمئنان واليقين بالحقيقة، والفناء فيها بعيدا عن الشك والارتياب.

وإن أنسب مجال بهذا المعنى من المعرفة – يا ولدي – هو مجال العقيدة والإيمان بالله عز وجل، وفي مجال العمل وأداء رسالة التكليف تجاه الله والحياة والإنسانية.

وأعتقد – يا ولدي – أن أعلى درجات معرفتك بالله عز وجل، بل من مبادئ هذه المعرفة، هو: أن تبدي عجزك عن معرفتك له بكنه ذاته، وذلك تنزيها لله تعالى عن خطرات الظنون. لأن المعرفة هنا ذات معنيين:

الأول: أن تكون المعرفة تعني الإحاطة بالشيء بكل خصوصياته وتفاصيل ذاته، فيصبح ما حوته المعرفة محدودا وحادثا، وهذا جار في جميع الأشياء والموجودات الخارجية القابلة للتعريف بالحد التام أو الرّسم التام، كالأشجار والأبنية والأرض والبحار، التي يمكن أن يحيط بها، بالرّغم من كونه لا يستطيع في كلّ الأحوال والظروف معرفة كل الأشياء وتعريفها.

وهذا المعنى من المعرفة بكافة الخصوصيات والتفاصيل كافة الذاتية للشيء، مستحيل بالنّسبة إلى الله عز وجل. لأنّه هو العالم المطلق والمحيط بالأشياء ولا تحيط به لأنه غير محدود بأين ولا زمان ولا كيف.

الثاني: أن تكون المعرفة تعني الإيمان المطلق، واستشعار حقيقة الجلالة والكبرياء والعظمة لله عز وجل، والتي تفوق التصوّر، وتتحدّى الإدراك - حتى على مستوى خلق الله عز وجل وإبداعه – مما يؤدي إلى الوصول إلى حالة الدهشة والانبهار.

كما قال تعالى: **(مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ * ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِأً وَهُوَ حَسِيرٌ)** (الملك:٣ –٤).

فهنا لاشك بكون الاعتراف بالعجز عن المعرفة، هو المعرفة حقا وهذا المعنى– يا ولدي - هو الذي ركّز عليه أئمّة أهل البيت عليهم السلام في أدعيتهم ومناجاتهم، وسعوا إلى ترسيخه في نفوس المؤمنين، كما جاء في دعاء الإمام السّجاد عليّ بن الحسين عليهم السلام حيث قال:

(الحمد لله الذي لم يشهد أحدا حين فطر السّموات والأرض، ولا اتخذ معينا حين برأ النسمات، لم يشارك في الإلهية، ولم يظاهر في الوحدانية، كلّت الألسن عن غاية صفته، وانحسرت العقول عن كنه معرفته، وتواضعت الجبابرة لهيبته، وعنت الوجوه لخشيته، وانقاد كل عظيم لعظمته).

فقد كان الاعتراف بالعجز عن كنه معرفة الله – يا ولدي - أمرا من صميم عقيدة المعصومين عليه السلام، الذين هم أقرب الناس إلى الله عز وجل، وأعرفهم به من غيرهم، فكيف لا يكون أمرا من صميم عقيدتنا؟، وكيف لا يترسخ في عقولنا؟.

وقد شمل الله منهم نبيّه موسى عليه السلام ليكلمه من وراء الجبل، لا كما يكلم بعضنا الآخر، بل أنطق الله عنه الجبل، كما حكى ذلك بقوله:

(وَلَمَّا جَاء مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ موسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ) (الأعراف: ١٤٣).

وكلمة (سبحانك) على لسان موسى عليه السلام، تعني تقديس الله عز وجل، من أن يدّعي أحد مشاهدته حتى المعصوم، كما ضمّن موسى كلامه بالاعتذار والتوبة فقال: (تبت إليك). أي: لن أعود إلى مثل هذا الطلب، (وأنا أول المؤمنين) بأنك المطلق الذي لا تراك العيون.

فأنّى يكون لإنسان بعد موسى عليه السلام أن يوهم الناس بقوله: إني رأيت الله فكلمته وكلمني ؟!.

نعم علّمنا الإمام السجاد عليه السلام أن نؤمن بأن الله تعالى، لا يحتجب عن خلقه بالرّحمة والعناية، إلا أن تحجب قلوبهم وبصائرهم الذنوب والخطايا، فقال

عليه السلام: (وان الراحل إليك قريب المسافة وانك لا تحتجب عن خلقك إلا أن تحجبهم الأعمال دونك)[1].

الاعتراف بالعجز ظاهرة إيجابية

ولا يمكن في هذه الحالة – يا ولدي – أن يكون العجز عن المعرفة ظاهرة سلبية في إيمان الإنسان المؤمن، وإنما هو ظاهرة إيجابية يتحرك من خلالها الإنسان المؤمن باتجاه الوقوف بخشوع وإجلال، أمام الكبرياء والعظمة الإلهية التي تعني تنزّه الواجب عن حواس ومدارك الممكن القاصر.

فعجزك – يا ولدي – عن معرفة كنه حقيقة المطلق عز وجل، يختزن في حركته معنى يعمق من إيمانك بوجوده، والإقرار بعظمته وجلاله، وينير زوايا نفسك بنور اليقين.

لذا تختلف درجات هذه الظاهرة الإيجابية للإيمان والمعرفة بالله عز وجل قوّة وضعفا من إنسان إلى آخر – كما تحدث أهل المعرفة عن درجاتها – ولكن لا تختلف قلوبهم تجاه بعضهم، ولا يزدري أهل الدرجة الأعلى بالأدنى.

لأن العارفين في جنان معرفة الله عز وجل، على حد سواء وإن اختلفت درجاتهم، كما لو كانوا في جنان الآخرة **(لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا * إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا)** (الواقعة: ٢٥ – ٢٦)، ولا ينبغي أن يظهروا للناس ما هو فوق طاقتهم، أو يدّعوا – وكما سمعنا الكثير من هذه الدعاوى - بأنهم أهل الاجتباء والاصطفاء دون غيرهم من العباد.

---

١ . مصباح المتهجد، الشيخ الطوسي: ٥٨٣.

وعندما كتب أهل المعرفة في المعرفة ودرجاتها – يا ولدي – لم يلزموا الناس بما هو فوق إدراكهم وقدرتهم، بقدر ما هو بيان للاستنارة بمنهج العارفين ما أمكنهم، بل حتى بيانات أئمة أهل البيت الهداة عليهم السلام، وأحاديثهم في المعرفة، كانت قائمة على هذا الأساس.

درجـات المعـرفـة

تختلف – يا ولدي - درجات المعرفة على صعيد العقيدة والإيمان بالله عز وجل من إنسان إلى آخر، بحسب المدارك والإفهام والمستويات الفكرية والروحيّة، وقد ذكر أهل المعرفة هذه المراتب على النحو التالي:

أوّلا: هناك من يعرف الله عز وجل معرفة المقلد الذي يصدّق بما يسمع من دون الوقوف على الحجة، كمن يسمع بوجود شيء اسمه النار، يحرق كل شيء يلاقيه.

ثانيا: هناك من يعرف الله عز وجل بالبرهان والدليل، على مستوى دلالة الأثر على وجود المؤثر، كمن وصل إليه دخان النار فعرف أن هناك مؤثّرا وهو النار، بحكم ما هو مركوز في النفس من مفهوم العلة والمعلول

وهذه هي درجة أهل النظر والاستدلال، كما سئل أعرابي: بم عرفت ربّك؟ فأجاب ببساطة: البعرة تدل على البعير والأثر يدل على المسير، أسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج، لا تدلان على اللطيف الخبير؟.

ثالثا: هناك من تعمّق في معرفة الأثر وانتفع به، واستنار بالموجودات، واستلهم من خلالها الحجة والدليل القاطع على كمال المطلق عز وجل، فتيقّن أن الله نور السموات والأرض، فاطمأن قلبه بالإيمان. كمن أحس بحرارة النار بسبب مجاورتها وانتفع بذلك الأثر، فهي معرفة الذين قال الله عز وجل عنهم: **(الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ)** (الرعد:٢٨)
.

رابعا: هناك من هو أعلى درجة، وهو العارف الذي ذاب وتلاشى وجوده في ذات الله عز وجل، كمن اكتوى بالنار وتلاشى فيها، فهو لا ينظر إلى وجوده، ولا وجود أي كائن بنظر مستقل عن الله تعالى شأنه.

وهذه المعرفة – يا ولدي - هي معرفة الموقنين أهل الشهود والفناء في الله عز وجل، كما قال الإمام سيد العارفين علي عليه السلام: (ما رأيت شيئا إلا ورأيت الله قبله وبعده ومعه)[1].

وأجاب على سؤال سأله ذعلب اليماني فقال: هل رأيت ربك يا أمير المؤمنين؟ فقال عليه السلام: (أفأعبد ما لا أرى؟، فقال: وكيف تراه؟، فقال عليه السلام: لا تراه العيون بمشاهدة العيان، ولكن تدركه القلوب بحقائق الإيمان...)[2]، وهو مصداق لقوله عليه السلام: (لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقينا)[3].

ونستطيع القول – يا ولدي -: بما أن العقل هو موقع المعرفة بالمعنى الأعم، لأنه يذعن للدليل والحجة، فإن القلب هو موقع الإيمان الذي هو درجة فوق العلم، لأن هناك من يعلم ولا يؤمن، كما قال عز وجل: **(مِنَ الَّذِينَ قَالُواْ آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ)** (المائدة: ٤١).

ومن هنا نعرف – يا ولدي - أن المعرفة بالمعنى الأخص، هي درجة فوق الإيمان العادي، لأن هذه المعرفة تعني اليقين المطلق بعيدا عن الشك والارتياب، كما قال عز وجل: **(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ)** (الحجرات: ١٥).

ولاشك – يا ولدي – في أن المصداق الأوّل لهذه المعرفة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله هو الإمام علي عليه السلام، الذي فنيت ذاته وذاب وجوده في حب الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله ومن الشواهد على عمق هذا الحب في نفسه، التي اتسعت لمل لا تطيق حمله الجبال من الآلام، حيث بقيت شعلة الرضا تضيء كل فصول حياته: يروى أن أطراف النصال التي كانت تخلفها الحرب في جسده، كانت تسل من جسده أثناء انشغاله بالصلاة، لأنه

١ . اللمعة البيضاء، التبريزي الأنصاري: ١٦٩.

٢ . نهج البلاغة: ٩٩/٢.

٣ . مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب: ١١٧/١.

عليه السلام في حالة عشق روحي عميق، ومناجاة وفناء في ذات محبوبه عز وجل.

فإذا فرغ من صلاته ومناجاته، والتفت إلى آثار ما استخرج من جسده من هذه النصال، قال: ما هي إلا فعلة ولدي الحسن عليه السلام. ومن خلال عمله وأدائه عليه السلام، الذي ملء الحياة عطاءاً وثراء، فقد أعطى دليلا قاطعا، على أن هذه الدرجة من المعرفة بالله عز وجل، هي مصدر كل عمل نافع على صعيد الحياة العامة والخاصة، وهي منطلق كل التضحيات والعطاءآت الإنسانية.

فالسؤال – يا ولدي –: فهل بإمكان كل أحد أن يصل إلى هذه الدرجة من المعرفة؟ وكيف؟، أقول: بغض النظر عما عليه الإمام المعصوم عليه السلام من الدرجة العليا، والعناية الخاصة، التي يتكشف له من خلالها رؤية الحقائق وجواهر الأشياء، بعيدا عن التكلف، وليس حصيلة للحس، أو حركة الفكر، أو نتاج الغريزة.

فإن هذه الدرجة من المعرفة بالله عز وجل عند غير المعصوم – يا ولدي - هي الناتج الإيجابي لترويض النفس وتجريدها لله عز وجل بالاجتهاد والعمل، وإليك هذه العبارة لصدر المتألهين إذ يقول: (إذا أعرضت النفس عن دواعي الطبيعة، وظلمات الهوى، وولت بوجهها شطر الحق، وتلقاء عالم الملكوت، اتصلت بالسعادة القصوى، فلاح لها سر الملكوت، وانعكس عليها قدس اللاهوت)[١].

ومما يؤيد حصيلة هذا الترويض – يا ولدي – ويؤكد نتاج المسيرة والحركة في طاعة الله عز وجل، كوكبة من الآيات الكريمة والنصوص الشريفة، التي تشير إلى حركة الترقي في هذه المدارج.

قال تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)** (الحديد:٢٨)، وقال تعالى: **(أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا**

---

١. الأسفار الأربعة : ٧ / ٣٥ .

يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ ..) (الأنعام: ١٢٣)، وقال تعالى: **(وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْواهُمْ)** (محمد: ١٧).

وقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: (وما برح لله عزت آلاؤه في البرهة بعد البرهة، وفي أزمان الفترات، عباد ناجاهم الله في فكرهم، وكلمهم في ذات عقولهم)[1].

أي: أنهم أقبلوا على الله بالعبادة والطاعة، فأماط الله عنهم الحجب، وأضاء طريقهم إليه بنور البصيرة، وأوقد عقولهم بنور المعرفة، وكما قال عليه السلام في وصفهم بكلمة أخرى: (هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة، وباشروا روح اليقين)[2].

---

١ . نهج البلاغة: ٢١١/٢.

٢ . كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق: ٢٩١.

المحـور الثـالـث

فـــي صفـات المـؤمـن العــارف

أولا: إنـّه حبيب الله:

فقد ورد في مصباح الشريعة، عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: (نجوى العارفين تدورُ على ثلاثة أصول، الخوف والرجاء والحب، فالخوف فرع العلم، والرجاء فرع اليقين، والحب فرع المعرفة، فدليل الخوف الهرب، ودليل الرجاء الطلب، ودليل الحب إيثار المحبوب على ما سواه)[١].

فقوام معرفتك – يا ولدي – هو أن تجمع بين هذه المحاور والأصول الثلاثة في آن واحد، التي تشكل بمجموعها عنصر الحركة الروحية الخالصة نحو الله عز وجل.

أما خوفك – يا ولدي –: فينبغي أن يكون خوف الهيبة والاحترام لمقام الحبيب، والحرص على رضاه وعدم إغضابه، لا خوف الإنسان من سطوة العقوبة، فإن هذا ما عليه الناس من الخوف، إذ غالبا ما يخاف الإنسان من بطش الآخرين وسطوتهم، فإذا أمن ذلك تجاوز الحدود.

أما خوف الهيبة لمقام الحبيب، فهو من أصول نجوى العارفين، الذين لا تغير حقيقة خوفهم الأحوال، ولا تزحزحهم عن خط طاعته الأهوال، لذلك قسّم أهل المعرفة الخوف إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: خوف العامة، وهم الذين يصدّقون بالآخرة ويؤمنون بالوعيد، كما أشارت الآية الكريمة **(إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ)** (هود: ١٠٣).

القسم الثاني: خوف الخاصّة، وهم الذين يخافون الاحتجاب عن الله عز وجل والبعد عن فيض رحمته وعنايته.

وهو ما أشارت إليه فقرات من دعاء كميل بن زياد (رض): (فهبني يا إلهي صبرت على عذابك فكيف أصبر على فراقك، وهبني صبرت على حرّ نارك فكيف اصبر عن النظر إلى كرامتك).

---

١ . مستدرك الوسائل، الميرزا النوري: ١٦٨/١٢.

القسم الثالث: خوف خاصّة الخاصّة، وهو خوف الحياء، خوف الذين يخافون الله لجلاله وهيبته، كما جاء في دعاء الصباح: (وأجر اللهم لهيبتك من آماقي زفرات الدموع)، حيث تمتلك قلوبهم هيبة الجلال والجمال وعلوّ المقام، فيذوبون فيه خشوعا، لذلك قال عز وجل: (وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى)(النازعات:٤٠-٤١).

ولم يقل: وأما من خاف عذاب ربه، وأوضح ذلك بعض الشعراء بقوله:

أشتاقه فإذا بدا   أطرقت من إجلاله
لا خيفة بل هيبة   وصيانة لجماله

وأما رجاؤك – يا ولدي –: فهو الأمل والثقة برحمة الله عز وجل، بنحو لا يدعوك إلى الأمن من مكره، بل الرجاء الملازم للخوف من أجل أن يخلق الموازنة في فكرك وحركتك وسلوكك.

وليس رجاء الرّحمة ممّا يعارض إرادة المولى عز وجل كما يقول القائلون، لأن الرجاء يعني الأمل بأن تكون إرادة الله تعالى، في إفاضة الرّحمة، لا الأمل بأن تتغير إرادته الحكيمة تعالى لصالح هذا أو ذاك.

وقد أوضح ذلك الإمام علي عليه السلام في بعض ما نسب إليه:

إلهي لا تعذبني فإني   مقر بالذي قد كان مني
ومالي حيلة إلا رجائي   بعفوك إن عفوت وحسن ظني

وجاء في دعاء الإمام موسى بن جعفر عليه السلام قوله: (إن تعذبني فإنّي لذلك أهل وهو يا رب منك عدل، وإن تعف عني فقديما شملني عفوك)[1].

وأما حبك – يا ولدي –: فهو المحور الذي يدور عليه خوفك ورجاؤك، وتتحرك باتجاهه كل حركة من حركاتك، وكل اختلاجة من اختلاجات نفسك، حيث تتعشق معبودك الحبيب في سرّائك وضرّائك، وفي شدّتك ورخائك، وفي خوفك ورجائك.

---

١ . الصحيفة السجادية: ٣٧٥.

واعلم – يا ولدي – إن الوسيلة إلى هذا الحب، والذي يوقد جذوته في أعماق قلبك، ويجذّر شجرته في حنايا صدرك، هو المعرفة النقية الخالية من ظلمات الريب ومخالجات الشك، كما جاء في مناجاة العارفين للإمام السجاد زين العابدين عليه السلام:

(اللهم فاجعلنا من الذين توشجت أشجار الشوق إليك في حدائق صدورهم، وانجلت ظلمة الريب من عقائدهم وضمائرهم، وانتفت مخالجة الشك عن قلوبهم وسرائرهم، وانشرحت بتحقيق المعرفة صدورهم).

وجاء في الدعاء أيضا: (أنت الذي أزلت الأغيار عن قلوب أحبائك حتى لم يحبوا سواك...ماذا وجد من فقدك ؟ وما الذي فقد من وجدك ؟ لقد خاب من رضي دونك بدلا...).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: (لا يمحض رجل الإيمان بالله حتى يكون الله أحب إليه من نفسه وأبيه وأمه وولده وأهله وماله ومن الناس كلهم)[١].

ثانيا: إنّه العارف بمحبة الله له:

وإن من قوام معرفتك – يا ولدي – أن لا تشك في حال من الأحوال - بمحبة الله لك مهما كانت الظروف والأحوال التي تحيطك، بل عليك أن تأخذ معنى محبة الله عز وجل لك من ذات الربوبية، لأن معنى كلمة الرب: هو من رباك وغذّاك ورعاك، وكلأك في ظلال عنايته وكرمه.

وهذه الكلمة، أي: الربوبية، هي أصدق وأليق المصطلحات بمقام الله عز وجل، وقد جاء هذا المعنى في دعاء كميل: (الهي أنت أكرم من أن تضيّع من ربيته، أو تشرّد من آويته، أو تسلّم إلى البلاء من كفيته ورحمته). وفي فقرة أخرى: (يا من بدأ خلقي وذكري وتربيتي وبرّي وتغذيتي).

واعلم – يا ولدي – أنك تستطيع أن تدرك مدى محبة الله عز وجل لك من خلال أمرين أساسيين:

---

١ . ميزان الحكمة، مهدي الريشهري: ٥٠٢/١.

الأول: من واقع نفسك، وسموّ ذاتك، وصفاء أخلاقها وخصالها، وصفات النزاهة والطهر فيها، حيث تتبين ملامح تلك الأخلاق والصفات من خلال النصوص الشريفة:

أ. من خلال التحابب والتواصل مع المؤمنين – يا ولدي – كما جاء في حديث المعراج من خطاب الله عز وجل لرسوله الكريم محمد صلى الله عليه وآله: (يا محمد وجبت محبتي للمتحابين فيّ، ووجبت محبتي للمتعاطفين فيّ، ووجبت محبتي للمتواصلين فيّ ووجبت محبتي للمتوكلين عليّ، وليس لمحبتي علم ولا غاية ولا نهاية، وكلما رفعت لهم علما وضعت لهم علما...)[١].

ب. من خلال بغضك – يا ولدي –لأهل المعاصي والعناد الذين يحادّون الله ورسوله، كما قال الإمام الباقر عليه السلام: (إعلم رحمك الله إنا لا ننال محبّة الله إلا ببغض كثير من الناس، ولا ولايته إلا بمعاداتهم، وفوت ذلك قليل يسير الدرك ذلك من الله لقوم يعلمون)[٢]. وعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: (طلبت حب الله عز وجل فوجدته في بغض أهل المعاصي)[٣].

ج. من خلال بغضك الدنيا وحطامها والتخلي عنها، والتباعد عن أهلها وبهرجها وخيلائها – يا ولدي – فقد قيل لعيسى عليه السلام: علمنا عملا واحدا يحبنا الله عليه ؟ قال: (أبغضوا الدنيا يحببكم الله)[٤]. وعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: (إذا تخلى المؤمن من الدنيا سما، ووجد حلاوة حب الله، وكان عند أهل الدنيا كأنه خولط، وإنما خالط القوم حلاوة حب الله فلم يشتغلوا بغيره)[٥].

د. من خلال حبك ما أحب الله ورسوله من الذوات والصفات، والأعمال والطاعات، فقد سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: أحب أن أكون

---

١ . بحار الأنوار، المجلسي: ٢١/٧٤.

٢ . مستدرك الوسائل، الميرزا النوري: ٢٣٨/١٢.

٣ . مستدرك سفينة البحار، الشيخ علي النمازي: ٥٥٣/٦.

٤ . بحار الأنوار، المجلسي: ٣٢٨/٤.

٥ . الكافي، الكليني: ١٣٠/٢.

من أحباء الله ورسوله ؟، قال: (أحب ما أحب الله ورسوله وأبغض ما أبغض الله ورسوله)[١].

هـ. من خلال حلمك، وسعة صدرك، وكظم غيظك عند سورة الغضب، مما يشير إلى كمال عقلك، وحنوّ قلبك وسماحة نفسك – يا ولدي – فقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله: (وجبت محبة الله على من أغضب فحلم)[٢].

و. من خلال ذكرك الموت، وهو الحدث الحتمي، الذي يربط دنياك بآخرتك التي يتوق إليها قلبك إن كنت مؤمنا محبا لله، لأنها محل لقياك مع ربك عز وجل، فقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: (من أكثر ذكر الموت أحبه الله)[٣]، فالمؤمن – يا ولدي – يعيش للآخرة، ويعمل للآخرة، وعلى هذا الأساس ينبغي أن يكون ذكرك الموت في نفسك محفزا لا مثبطا، بينما يكون الموت في مفهوم غير المؤمن أسفا وندما على ترك الدنيا، لأنه لا يرى رابطا بين الدنيا والآخرة.

الثاني: تستطيع أن تدرك محبة الله عز وجل لك، من خلال معرفتك بدلائل هذه المحبة في ذات الله عز وجل وهذه الدلائل هي:

الدلالة الأولى: انه تعالى، هو واهب المحبة والمودة له في قلبك، وهو الذي يورق أشجار الشوق إليه في صدرك، لذلك جاء في الدعاء: (الهي فاجعلنا من الذين توشجت أشجار الشوق إليك في حدائق صدورهم، وأخذت لوعة محبتك بمجامع قلوبهم)، وجاء أيضا: (اللهم ارزقني حبك وحب من يحبك، والعمل الذي يبلغني حبك، اللهم اجعل حبك أحب إليّ من نفسي وأهلي ومن الماء البارد).

الدلالة الثانية: إن الله تعالى يغدق النعم عليك لتحبه، دون أن يمنعه ذنبك وصدودك عن إسداء النعم ودوامها عليك، تحببا وتقربا إليك قبل أن تتقرب إليه، كما جاء في دعاء أبي حمزة الثمالي: (تتحبب إلينا بالنعم ونعارضك

---

١ . كنز العمال، المتقي الهندي: ١٢٨/١٦.

٢ . مسند الشهاب، ابن سلامة: ٣٣٣/١.

٣ . وسائل الشيعة، الحر العاملي: ٤٣٤/٢.

بالذنوب خيرك إلينا نازل وشرنا غليك صاعد)، وجاء في دعاء الافتتاح: (اللهم إنك تدعوني فأولي عنك، وتتحبب إلي فأتبغض إليك، وتتودد إلي فلا أقبل منك، كأن لي التطوّل عليك فلم يمنعك ذلك من الرحمة بي والإحسان إلي والتفضل علي).

الدلالة الثالثة: تودّد الله تعالى لك، وذلك من خلال ما يوجّهه إليك من دعوات إلى مجالس ذكره ومناجاته، كما جاء في الحديث القدسي: (فارفضوا يا أهل الأرض ما أنتم عليه من غرورها وهلمّوا إلى كرامتي ومصاحبتي ومجالستي، وأنسوا بي أو انسكم وأسارع إلى محبتكم)[١].

ولعلك تقول – يا ولدي –: أي شيء ليس من غرور هذه الدنيا، وهي مليئة بكل متطلبات الحياة وأساسياتها ؟ أقول: انه يريد أن نرفض ما نحن عليه من غرورها، لا من خيراتها وطيّباتها، لأنّ غرور الدنيا هو كل ما أبعد الإنسان عن ميدان الطاعة وساحة الرحمة، وما كان كذلك فهو ليس من الخير.

الدلالة الرابعة: حرص الله عز وجل على بقاء الصلة بعبده، رغم ما عليه العبد من العصيان والصدود، فلا يريد الله أن يقطع حبل المودّة بينه وبين عبده، وذلك من خلال دعوته إلى التوبة الصادقة، والإنابة إلى ساحة الرّضا والرحمة.

ولا تنس ما جاء في مناجاة التائبين للإمام السجاد زين العابدين عليه السلام، وهو يلمح إلى هذه الحقيقة بقوله: (الهي انك فتحت لعبادك بابا من أبواب رحمتك سمّيته التوبة، فقلت: توبوا إلى الله توبة نصوحا، فما عذر من أغفل دخول الباب بعد فتحه).

ثالثا: إنّه يملك دلائل محبته لربّه:

---

١. الجواهر السنية الحر العاملي: ٩٤.

فكما كان لمحبة الله تعالى لك – يا ولدي – دلائل، فإن لمحبتك لربّك دلائل يعرف بها عز وجل مدى صدقك في الإيمان والطاعة، فإن كنت محبّا لربّك فأعطه دلائل محبتك، واعتبر بقول الشاعر:

لا تخدعنّ فللمحب دلائل   ولديه من تحف الحبيب رسائل

فإليك – يا ولدي – جملة من تلك الرسائل والعلامات التي يعرف بها أولياء الله وأحباؤه، وهي التي تربطك بربك وتشدك إلى معبودك الحبيب:

أ. رسالة الورع عن محارم الله:

ولعل هذه أشق الحالات عليك – يا ولدي - ما لم يتعمق حب الله في قلبك ليصبح روضة يانعة، تعكس هذا الحب بشرا ونضارة على كل معالم حياتك وسلوكك، وليكتسح هذا الحب، كل نزعة من نزعات المعصية، فإذا كنت – يا ولدي - قادرا على كفكفة نفسك، وكبح جماحها، ومنعها عن المعصية، وإيثار مراد الله على هواها، كان ذلك دليلاً على صدق محبتك لربّك، وكما قال أحد المعصومين متمثلا بهذين البيتين:

تعصي الإله وأنت تظهر حبه   هذا لعمرك في الفعال بديع

لو كان حبك صادقا لأطعته   إن المحب لمن يحب مطيع[١]

وأروع ما ورد في أصل الورع – يا ولدي –: أن أصل الورع دوام محاسبة النفس، والصدق في المقاولة، وصفاء المعاملة، والخروج عن كل شبهة، ورفض كل عيبة وريبة، ومفارقة جميع ما لا يعنيه، وترك فتح أبواب لا يدري كيف يغلقها، ولا يجالس من يشكل عليه، ولا يصاحب مستخفا بالدين، ولا يعارض من العلم مالا يحتمل قلبه ولا يتفهمه من قائله، ويقطع عمن يقطعه عن الله عز وجل، وعن الإمام الصادق عليه السلام: (قال الله تبارك وتعالى: ما تحبب إلي عبدي بأحب مما افترضت عليه)[٢].

---

١ . الأنوار البهية، الشيخ عباس القمي: ١٤٣.

٢ . المحاسن، أحمد البرقي: ٢٩١/١.

ب. رسالة البكاء من خشية الله:

وهو تحوّل مهم في نفس المؤمن المحب لله – يا ولدي - فينبغي أن يكون عملية تعبير نابعة من أعماق قلبك تجاه حبيبك، وهو أقرب الحالات وأشدّها تكاملا وتفاعلا منك مع منهج الله عز وجل.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (ما يقطر في الأرض قطرة أحب إلى الله من قطرة دمع في سواد الليل من خشيته لا يراه أحد إلا الله عز وجل)[١].

وجاء عن الإمام الرضا عليه السلام قال: كان فيما ناجى الله به موسى عليه السلام أنه ما تقرّب إليّ المتقربون بمثل البكاء من خشيتي، وما تعبّد إليّ المتعبّدون بمثل الورع عن محارمي.

فسأله موسى: يا أكرم الأكرمين فما أثبتهم على ذلك؟ فقال: يا موسى، أما المتقربون إليّ بالبكاء من خشيتي، فهم في الرفيق الأعلى لا يشاركهم فيه أحد، وأما المتعبّدون إليّ بالورع عن محارمي، فإني أفتش الناس عن أعمالهم ولا أفتشهم حياء منهم[٢].

جـ. رسالة الأنس بمناجاة الله:

فإن كنت مؤمنا محبا لربك – يا ولدي – فتحيّن فرص الخلوة به لمناجاته، وخير الأجواء لهذه المناجاة هي أعماق الليل إذا نامت الأعين، وهدأت الأصوات.

ليمنحك الليل من هدوئه هدوءا عن الصخب والضجيج حرصا على توجّه قلبك إلى الله، ومن استتاره استتارا عن أعين أهل الدنيا وقاية لك عن الرياء والسمعة، ومن حزن ظلامه حزنا لذكرى وحدة القبر ووحشته، وفوق ذلك كلّه ليتسع لجلال الله قلبك وإحساسك.

---

١ . مستدرك الوسائل، الميرزا النوري: ٢٤٤/١١.

٢ . وسائل الشيعة: ٢٢٦/١٥.

وقد جاء في الحديث القدسي عن الله عز وجل: (ما وسعني أرضي ولا سمائي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن)[١] وجاء في الدعاء (اللهم أحملنا في سفن نجاتك ومتعنا بلذيذ مناجاتك).

وورد أن الله عز وجل، أوحى إلى بعض الصديقين: إن لي عبادا من عبادي يحبوني و أحبهم، ويشتاقون إليّ اشتاق إليهم، ويذكروني وأذكرهم، فإن أخذت طريقتهم أحببتك، وإن عدلت عنهم مقتّك، فقال: يا رب وما علامتهم؟

قال: يراعون الظلال بالنهار، كما يراعي (الراعي) الشفيق غنمه، ويحنون إلى غروب الشمس كما تحن الطيور إلى أوكارها، فإذا جنّهم الليل واختلط الظلام، وفرشت الفرش، ونصبت الأسرّة، وخلا كل حبيب بحبيبه، نصبوا إليّ أقدامهم، وافترشوا لي وجوههم، وناجوني بكلامي، وتملّقوني بإنعامي، مابين صارخ وباك، وما بين متأوّه وشاك، وبين قائم وقاعد، وبين راكع وساجد، بعيني ما يتحمّلون من أجلي، وبسمعي ما يشكون من حبي، أقل ما أعطيهم ثلاثا:

الأول: أقذف من نوري في قلوبهم، فيخبرون عنّي، كما اخبر عنهم.

والثاني: لو كانت السموات والأرضون وما فيها من مواريثهم، لاستقللتها لهم.

والثالث: أقبل بوجهي عليهم، أفترى من أقبلت بوجهي عليه يعلم أحد ماذا أريد أن أعطيه؟[٢].

د. رسالة الاعتراف بنعمة الله:

فإن هناك ملازمة – يا ولدي – بين الاعتراف بالنعمة وبين حب المنعم، لأن القلوب مجبولة على حب من أحسن إليها، على ضوء ما جاء في مناجاة

---

١ . اللمعة البيضاء: التبريزي الأنصاري: ١٣٩.

٢ . مسكن الفؤاد الشهيد الثاني: ٢٨.

موسى عليه السلام لربّه عز وجل: إلهي انك تعلم انه ليس في قلبي أحد أحب ّمنك، فما لي وقلوب عبادك؟ فأوحى الله إليه: (ذكّرهم نعمتي وآلائي).

فاعلم – يا ولدي – أن نعم الله عز وجل للمؤمن والكافر على حدّ سواء، لأنه الغني الذي لا يعجزه التفضل ولا تنقص خزائنه العطايا.

غاية الأمر، إن المؤمن يتلقّى النعمة بقلب واع وإيمان عميق، ونفس نقيّة صافية، ينظر من خلالها المؤمن إلى المنعم المتكرّم المتلطّف، فتتحوّل النعمة في حياته، إلى مفاهيم واسعة من التقوى والحب والشكر والذكر، أما الكافر فآنيته التي يتلقّى بها النعمة، فهي ضيّقة قاتمة، لا يرى من خلالها مقام المنعم، لهذا تتحوّل فيها النعمة إلى بطر ورياء وعجب وأنانية وصدود.

فاجتهد – يا ولدي – أن تكون نعمة الله تعالى عليك سلّما للهداية والصعود إليه، وسببا لحبّه عز وجل من أعماق قلبك.

هـ. رسالة الإخلاص لله:

إن مسألة الإخلاص – يا ولدي – مسألة حساسة بالنسبة إلى عمل المؤمن، فإن الإخلاص لله في العمل، يعبر عن غسل القلب من كل عالقة بسواه عز وجل.

فعن الإمام المهدي (عج) أنه قال: (إن موسى ناجى ربه بالواد المقدس فقال: يا رب إني أخلصت لك المحبة مني وغسلت قلبي عمن سواك) - وكان شديد الحب لأهله – فقال الله تبارك وتعالى: **(اخْلَعْ نَعْلَيْكَ)**.

أي: انزع حب أهلك من قلبك إن كانت محبتك لي خالصة وقلبك من الميل إلى من سواي مغسولا)[1].

فإنك تحتاج في تحصيل الإخلاص إلى توطين نفسك، وترويضها على أعباء العمل ومشّاقه وأتعابه، وإلى وعي شامل، ودقيق لملامح الإخلاص وحدوده، فمن حدود الإخلاص:

الحدّ الأوّل:

---

١ . ميزان الحكمة، محمد الريشهري: ٥٠٢/١.

أن تبذل ما بوسعك لله عز وجل، ثمّ لا تجعل لعملك في نفسك قيمة وقدرا فتوجب على الله المكافأة والثواب، فإذا استصغرت عملك في نفسك سلمت من الرياء والسمعة.

ففي الحديث عن الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام قال: (إن لله عبادا لا يستكثرون له الكثير، ولا يرضون له من أنفسهم بالقليل، يرون في أنفسهم أنهم أشرار، وإنهم لأكياس وأبرار)[١].

وعن الإمام الباقر عليه السلام قال: (استقلل من نفسك كثير الطاعة لله إزراء على النفس وتعرضا للعفو)[٢].

وروي عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام أنه قال: (كل عمل تريد به الله عز وجل فكن فيه مقصّرا عند نفسك، فإن الناس كلهم في أعمالهم فيما بينهم وبين الله مقصّرون إلا من عصمه الله عز وجل)[٣].

وإليك – يا ولدي – هذه القصّة عن الزهري قال: دخلت مع عليّ بن الحسين عليهم السلام على عبد الملك بن مروان قال فاستعظم عبد الملك ما رأى من أثر السجود بين عيني علي بن الحسين عليه السلام فقال: يا أبا محمد لقد بيّن عليك الاجتهاد، ولقد سبق لك من الله الحسنى، وأنت بضعة من رسول الله صلى الله عليه وآله، قريب النسب وأكيد السبب .... ولقد أوتيت من الله الفضل والعلم والدين والورع ما لم يؤت أحد مثلك ولا قبلك إلا من مضى من سلفك.... الخ.

فقال عليه السلام: كل ما ذكرته ووصفته من فضل الله سبحانه وتأييده وتوفيقه، فأين شكره على ما أنعم يا أمير المؤمنين؟ كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقف في الصلاة حتى ترم قدماه، ويظمأ في الصيام حتى يعصب فوه، فقيل له: يا رسول الله ألم يغفر لك الله ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر؟.

فقال صلى الله عليه وآله: (أفلا أكون عبدا شكورا؟ الحمد لله على ما أولى وأبلى، وله الحمد في الآخرة والأولى ....، والله لا يشغلني شيء عن شكره

---

١ . تحف العقول، ابن شعبة الحراني: ٣٩٤.

٢ . ميزان الحكمة، محمد الريشهري: ١٨١٧/٣.

٣ . المصدر نفسه: ١٨٠٥/٣.

وذكره في ليل أو نهار ولا سر ولا علانية، ولولا أنّ لأهلي عليّ حقّا، ولسائر الناس من خاصّهم وعامّهم عليّ حقوقا، لا يسعني إلا القيام بها حسب الوسع والطاقة حتى أؤدّيها إليهم، لرميت بطرفي إلى السماء، وبقلبي إلى الله، ثمّ لم أرددهما حتى يقضي الله عليّ نفسي وهو خير الحاكمين)، وبكى عليه السلام وبكى عبد الملك[١].

فعليك – يا ولدي – أن تتحرك بكل كيانك في نطاق الخير كله، وأن تستبق الطاعات والطيبات في كل شؤونك، ولكن لا ينبغي أن تستكثر عملك الصالح فيقعدك ذلك عن الزيادة، وتصور أنك لو فتحت مسامع قلبك لعبادة الكائنات لله عز وجل، ولو سمعت تسبيحها الذي لا تفقهه، لدهشت من هول المشهد، ولتصاغرت أمام هذا الحشد الهائل من الذكر والتسبيح والطاعة.

يروى أن داود عليه السلام سهر ليلة يتلو الزبور، فأعجبته عبادته ــ وما كان عجبه من باب الغرور والتعالي بعمله عن الغيربل من باب الأنس والارتياح ــ فنادته ضفدع: يا داود، تعجبت من سهرك ليلة، وإني لتحت هذه الصخرة منذ أربعين سنة ما جف لساني عن ذكر الله تعالى[٢].

الحد الثاني:

أن يهيمن الواجب على أحاسيسك ومشاعرك كافة، وذلك لمعرفتك بمصدر الأمر المتوجه إليك – يا ولدي – ألا ترى في الحياة العامّة، لو توجّه للإنسان أمر من إنسان عادي، لاكما يتوجهّ إليه من صاحب السلطة والمكانة ؟.

فإذا كان الإنسان الآمر يمتلك أحاسيس المأمور ومشاعره، ويذهله عما حوله، فكيف بالله الملك المالك المطلق؟ لذا فإن لحضور الواجب الشرعي – كالصلاة مثلا – وقعا عظيما في قلوب أهل المعرفة.

تقول إحدى زوجات رسول الله صلى الله عليه وآله: كان النبي يحدّثنا ونحدّثه، فإذا حضرت الصلاة فكأنّه لا يعرفنا ولا نعرفه.

---

١ . بحار الأنوار، المجلسي:٥٧/٤٥.

٢ . مستدرك الوسائل، الميرزا النوري: ١٤٢/١.

الحدّ الثالث:

أن تعرف مضامين الواجب للاستفادة منه – يا ولدي - وفي طليعته منهج الصلاة اليومية، هذا المنهج التربوي الرائع، ومصدر الاستفادة من هذا المنهج، هم القدوات الصالحة من رسول الله صلى الله عليه وآله، إلى أهل البيت عليهم السلام إلى الأولياء.

فهناك سلسلة من الوصايا الصادرة من الإمام الصادق عليه السلام، للأخذ بأيدينا وأفكارنا إلى كل مفردة من مفردات الصلاة الرئيسية، إبتداءاً من دخول المسجد وانتهاءاً بالتسليم.

فنظرة يسيرة - يا ولدي - إلى ما ورد في مصباح الشريعة، يعرف المؤمن ولو جزءا من المضامين التربويّة، ننقل لك هذه الوصايا عن الإمام الصادق عليه السلام بالمضمون:

١. قال عليه السلام: (إذا بلغت باب المسجد فاعلم انك قصدت ملكا لا يطأ بساطه إلا المطهرون، ولا يؤذن لمجالسته إلا الصدّيقون، وهبه هيبة الملك، واعلم أنك على خطر عظيم إن غفلت، واعلم أنه قادر على ما يشاء من العدل والقضاء معك وبك).

٢. وعند استقبال القبلة، عليك إذا استقبلت القبلة فآيس من الدنيا وما فيها، ومن الخلق وما هم فيه، واستفرغ قلبك من كل شاغل يشغلك عن الله عز وجل، وعاين بسرّك عظمة الله واذكر وقوفك بين يديه يوم تبلو كل نفس ما أسلفت وردّوا إلى الله مولاهم الحق، وقف على قدم الخوف والرجاء.

٣. وعند النية والتكبير، عليك إذا كبّرت فاستصغر ما بين العلى والثرى دون كبريائه، فإن الله تعالى إذا اطلع على قلب العبد وهو يكبّر وفي قلبه عارض عن حقيقة تكبيره، قال: يا كاذب أتخدعني؟ وعزّتي وجلالي لأحرمنّك حلاوة ذكري، ولأحجبنّك عن قربي والمسرّة بمناجاتي.

٤. وعند القراءة، عليك أن تعلم أن القراءة شرط في الصلاة لتوثيق الصلة بالكتاب العزيز، لأنه المصدر الأساسي لرسالة الحياة، ولابدّ أن تكون القراءة بالفاتحة وسورة أخرى، ولا يغني عن الفاتحة شيء لأنها أم الكتاب ومستودع سرّ القرآن.

ففي أوّلها إجلال وثناء على الله عز وجل بالنعمة والفضل، وفي وسطها خضوع وتذلل واعتراف بالضعف والحاجة إليه، وانقياد لعبادته وطاعته.

وفي آخرها طلب للهداية والثبات على منهج الله وصراطه المستقيم الذي اختطّه لسعادة البشرية، وهذا الطلب من أهمّ المطالب في حياة الفرد والأمّة المسلمة.

٥. وعند الركوع، عليك أن تعلم أنه لا يركع عبد لله ركوعا على الحقيقة إلا زيّنه الله بنور بهائه، وأظلّه في ظلال كبريائه، وكساه بكسوة أصفيائه، والركوع أوّل والسجود ثان، فمن أتى بمعنى الأوّل صلح للثاني، وفي الركوع أدب وفي السجود قرب، ومن لا يحسن الأدب لم يصلح للقرب.

بمعنى: أن من يريد أن يفد على بلاط ملك من الملوك أو العظماء لابدّ أن يطرق الباب بأدب، ويستأذن للدخول بكلمات التكريم والاحترام والثناء، ليقبله الملك مكرّما، ويقرّبه ويسمع منه ما يريد.

فكيف بمن يفد على ملك الملوك ورب الأرباب، الذي أمر بأن يخاطب بما يليق من الخطاب، بقوله تعالى: **(قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)** (آل عمران: ٢٦).

وبما أن الركوع والسجود – يا ولدي – هما قوام الصلاة، وفيهما روح الصلاة وأثرها، فهناك ثلاثة مضامين في الركوع يذكرها السيد الإمام الخميني (قدس سره) في كتابه أسرار الصلاة:

أ. خشوع قلب المؤمن وخوفه، لأنّه تحت سلطان كبرياء الله وعظمته، لذلك جاء في الحديث القدسي: (أوليائي تحت قبابي لا يعرفهم غيري).

ب. تسوية الظهر في الركوع، وهي تعني تسوية النفس من الميل والاعوجاج والانحراف بتيار الغريزة.

ج. رفع الرأس مستقيما بعد الانحناء، وهو يعني الاستعداد للاستقامة على المنهج الذي طلب الهداية إليه بقوله (إهدنا الصراط المستقيم).

٦. وعند السجود، فاعلم (أنه ما خسر والله من أتى بحقيقة السجود ولو كان في العمر مرّة واحدة، وما أفلح من خلا بربّه في مثل ذلك الحال تشبيها بمخادع نفسه، غافلا لاهيا عمّا أعدّه الله للساجدين من أنس العاجل وراحة الآجل. ولا بعد عن الله أبدا من أحسن تقرّبه في السجود، ولا قرب إليه أبدا من أساء أدبه، وضيّع حرمته بتعلّق قلبه بسواه في السجود، فاسجد سجود متواضع لله تعالى، علم أنه خلق من تراب يطأؤه الخلق، وأنه ركّب من نطفة يستقذرها كل أحد، وكوّن ولم يكن.

وقد جعل الله معنى السجود بسبب التقرّب إليه بالقلب والسرّ والروح، فمن قرب منه بعد عن غيره. ألا ترى في الظاهر أنّه لا يستوي حال السجود إلا بالتواري والاحتجاب عن كل ما تراه العيون؟ كذلك أمر الباطن، فمن كان قلبه متعلّقا في صلاته بشيء دون الله تعالى فهو قريب من ذلك الشيء، بعيد عن حقيقة ما أراد منه في صلاته).

فاعلم – يا ولدي – إن الإمام الصادق عليه السلام يبيّن من خلال هذا الوصف للسجود والساجدين ،عدّة مضامين عليك أن لا تغفل عنها:

أ. إن الله تعالى أعدّ للساجدين أنسا في العاجل وراحة في الآجل، فليفلح الساجدون بهذا الأثر.

ب. إن في السجود تواضعا لله عز وجل، وفي التواضع والتذلل لله تعالى رفعة للمؤمن، وكرامة له من عبادة الغير.

ج. السجود قرب إلى الله عز وجل، والتصاق مباشر بساحة الرّحمة والعطاء، فليسأل الساجد ربّه في حال سجوده بما يشاء.

د. السجود احتجاب عن كل ما يحيط الإنسان من هذا الواقع المزوّق بمشاهد الإغراء، فكما تحتجب العين عن النظر إلى المحيط، فليحتجب القلب عن التفكير بما هو زائل.

٧. وعند التشهد، فاعلم: أن التشهد ثناء على الله، فكن عبدا له في السر خاضعا له في الفعل، كما انك عبد له بالقول والدعوى، وصل صدق لسانك بصفاء سرّك، فإنّه خلقك عبدا له، وأن تعبده بقلبك ولسانك وجوارحك.. إلى قوله عليه السلام: ثم أمرك بالصلاة على نبيّه صلى الله عليه وآله فأوصل

صلاته بصلاته، وطاعته بطاعته، وشهادته بشهادته، وانظر ألاّ يفوتك بركات معرفة حرمته.

٨. وعند التسليم، فاعلم: أن السلام دبر كل صلاة هو الأمان، أي أن من أدّى أمر الله وسنّة نبيّه خاشعا منه قلبه، فله الأمان من بلاء الدنيا، والبراءة من عذاب الآخرة، والسلام اسم من أسماء الله تعالى، أودعه خلقه ليستعملوا معناه في تعامل البعض مع البعض.

الحدّ الرابع:

أن تفنى في الأمر الإلهي – يا ولدي – وهو من حدود الإخلاص بمعنى: أن يستميت قلبك وبدنك في أداء الواجب بروح اليقين والثقة: بأنّ أيّة فريضة من الفرائض والواجبات، هي ذات غاية ترتبط بمصالح واقعية، تعود على البشريّة في تكوينها وفي كافة نواحي وجودها.

غاية الأمر، إن بعض المصالح والمعاني بارزة يتمّ إدراكها والتوصّل إليها وفقا لثقافة الإنسان المؤمن وتطلعاته الفكريّة. وهناك تفاصيل أخرى يقف عندها الفكر عاجزا رغم تطوّر الإدراك البشري، ولم يمكن التوصل إلى عللها. بل لم يكلّف الإنسان – أساسا – بالتوصّل إلى عللها وأسرارها، كعدد الركعات في كل صلاة، وعدد السجدات في ركعة.

ويسمّى هذا الجانب من ملامح العبادة، (الغيبية في تفاصيل العبادة)، تعرّض إليه السيّد الشهيد محمد باقر الصدر(قدّس سره) في مقدّمة رسالته العملية – الفتاوى الواضحة – فراجع.

واعلم – يا ولدي – إن هذا الجانب، يؤكّد فيك روح الانقياد والارتباط المطلق بالله عز وجل، وقد ذكر السيّد الشهيد (قدس سره) قائلا: (إن محاولة التساؤل عن هذا الجانب الغيبي من العبادة، والمطالبة بتفسيره وتحديد المصلحة فيه، يعني تفريغ العبادة من حقيقتها كتعبير عملي عن الاستسلام والانقياد، وقياسها بمقاييس المصلحة والمنفعة كأيّ عمل آخر).

ومن ناحية أخرى – يا ولدي – يعتبر هذا الإلحاح في طلب العلّة، تدخّلا في شؤون هي من مختصات المشرّع الحكيم جلّ في علاه، فلو سألنا عن علة كل عمل واجب أو مستحب، فماذا سنترك لله عز وجل من سرّ ينفرد به؟.

فعليك أن تميّز – يا ولدي – بين ضرورة الاستلهام من مضامين العبادة كمنهج شامل يفيض على الإنسان المؤمن بالأخلاق والقيم والمفاهيم الإنسانية، وبين حالة التساؤل عن علة كل شيء من تفاصيلها، بل أن من مضامين العبادة ومعانيها التربويّة، ومن دلائل المعرفة بها، هو التفاني فيها والانقياد لأدائها بروح الطاعة والجندية المخلصة.

هذه الروح التي تمتثل الأمر ولا تعبأ إن فهمت غرض الآمر أم لم تفهم، فلا تنافي بين الروح العرفانية التي يطمح إليها هذا وذاك، وبين عدم فهم علل الأحكام وأسرارها.

رابعا: إنّه المنكر ذاته:

من صفات العارف بالله عز وجل، أن يكون منكرا لذاته وأنانياته ولا نريد بهذا الحديث – يا ولدي – أن نطعن بشخص أو آخر بعينه، أو ننال من قدره ومنزلته، بقدر ما نريد أن نرفع ولو جزءا من الالتباس تجاه الآخرين، وننقل من حالة اللا أبالية تجاه موجة التحامل والتطاول على قدرهم واستصغار منازلهم، والمساس بمقاماتهم العلمية.

فاعلم – يا ولدي – أن استعظام النفس، والشعور بالفضل على الآخرين، هو من نتائج العجب والغرور بالنفس، كما روي: أن صدّيقا وزنديقا دخلا مسجدا، فخرج الصدّيق زنديقا، لما أصابه من الغرور والعجب بالنفس، وخرج الزنديق صديّقا، لما حظي به من التوبة ولوم النفس.

فقد روي أن عيسى عليه السلام أثناء سياحته في الأرض، مرّ على صومعة عابد من العباد، فوقف عنده يحادثه، فبينما هو كذلك، وإذا بشاب معروف بالفسق والفجور يمر من على باب الصومعة، فوقع نظره على عيسى عليه السلام مع ذلك العابد، فأخذته الرّعدة والحياء، وتسمّرت قدماه خجلا، وقال: يا ويح نفسي، ويا ندمي لو رآني عيسى النبي على ما أنا عليه من العمل السيئ فماذا أفعل؟.

وعندها وقع نظر العابد على ذلك الشاب، فرفع رأسه إلى السماء وقال: اللهم لا تحشرني يوم القيامة مع هذا الفاسق، بينما ينبغي في أدب العبادة، أن يتمنى العبد للغير ما يتمناه لنفسه، فيدعو له بالهداية والتوبة.

فأوحى الله عز وجل إلى عيسى عليه السلام: أن قل لهذا العابد: أني قد استجبت له دعاءه، ولا نحشرك معه لأنه أصبح من أهل الجنة بتوبته وندمه، وأصبحت من أهل النار بغرورك وعجبك.

أما التواضع للعلم والعلماء - يا ولدي - وعدم الدعوة إلى النفس، هي صفة بارزة في حياة أئمّة أهل البيت عليهم السلام، والأولياء ممن اقتدوا بسيرتهم وأخلاقهم، وإليك بعض الشواهد:

أ. ورد في جواب الإمام موسى بن جعفر عليه السلام للراهب الذي سأله: أأنت من الأمة المرحومة؟ قال: نعم، قال: أنت من علمائها أم من جهالها؟ قال عليه السلام: (لست من جهالها....) ولم يقل: أنا من علمائها، لأنه إن قال: أنا من علمائها، كان ذلك تفاخرا على الغير، بالرغم من كونه حقا، لاسيما وأن الإمام عليه السلام لا يحصل في نفسه هذا التفاخر، وإن قال: أنا من جهالها، كان ذلك إنكارا لفضل الله عز وجل على هذا الوجود المبارك، فاختار تلك الكلمة التي ترفعه عن هذا وذاك.

ب. يذكر عن أحد العلماء وهو المرحوم السيد محمد كاظم المدرسي (قدس سره)، يسير في شارع صفائية في مدينة قم المقدسة ومعه تلميذه، قادمين من الصلاة، فلما كان قرب منزله، دنا منه أحد المارة فسلم عليه، ثم سأله قائلا: أنت آية الله؟ فأجاب السيد (ره) قائلا: (إذا تخطينا الصراط يوم القيامة بسلام، فنعم وإلا فلا).

ج. ويذكر عن أحد المراجع القدامى، ويحتمل - أكثر - أن يكون السيّد كاظم اليزدي (قدّس سرّه)، قصة رواها خادمه الخاص، أو أحد تلامذته في مجلس الفاتحة الذي أقيم بمناسبة وفاته.

يقول عنه: كان يجلس في أوّل الليل مع أهل العلم من خاصته وتلامذته، وبعد انتهاء الجلسة يبدأ بالدرس والتحقيق، وبعد ذلك يرتدي كفنا كان لديه، وينام في لحد كان قد أعدّه في غرفته استذكارا للموت ثمّ يأوي إلى فراشه.

وفي ليلة من الليالي، وبعد إجراء هذه العملية كعادته، رأيته قد ارتدى ثيابه وعمامته، وخرج بعد منتصف الليل، فخرجت خلفه أقتفي أثره متخفيا خوفا عليه، حتى وصل إلى باب الصحن الشريف للإمام علي عليه السلام وكان الباب مغلقا، ففتح له الباب ولم أكن أرى أحدا، حتى دخل فأغلق الباب

خلفه، فانتظرته ساعة حتى فتح الباب كذلك فخرج، ومشيت خلفه لأسبقه إلى الدار.

ولكن الذي جرى هو: أنني عطست فأحس بي وعرفني، فالتفت إليّ قائلا: منذ متى أنت هنا؟، قلت: سيّدي منذ خرجت قد دخلني الخوف عليك، قال: هل رأيت كل شيء؟، قلت: نعم من أول خطوة، قال: استحلفك بالله تعالى أن لا تتحدّث بما رأيت حال حياتي، وها أنا ذا أقصّ لكم ما رأيت من شأن هذا الرجل.

د. وذكر سماحة السيد الحائري (دام ظله)، في كتابه (تزكية النفس) قصة أنقلها لك – يا ولدي – بإيجاز:

نقل الحاج سليمان علي قاجار حاكم سبزوار، إلى أحد أولاد السلاطين في أصفهان: أنه كانت له جارية، فهربت منه والتجأت إلى بيت السيد محمد باقر الشفتي المعروف بحجة الإسلام آنذاك، يقول الحاج سليمان: وبعد فترة من الزمن، أرجعها السيد إلى بيتنا ومعها رسالة كتب فيها: هذه الجارية مقصرة فاعف عنها وأحسن مداراتها لأجلي.

فسألنا الجارية بعد عودتها عن حال السيد فقالت: إنه مجنون في الليل عاقل في النهار، قلنا: وكيف ذلك ؟ قالت: عندما تمضي قطعة من الليل أراه ينفعل في مكتبه، ويلطم على رأسه ويبكي كالمجانين، ويناجي ويدعو إلى الصباح، وعند الصباح يلبس عمامته ويرتدي عباءته ويجلس هادئا.

إن هؤلاء – يا ولدي – هم كنوز مخفية، لا يتحدثون عن أنفسهم، ولا يعرفهم الناس، إلا بعد أن تنطق عنهم الحوادث والمفاجآت، وتروي عنهم التجارب والأيام، وكما قال سماحة السيد الحائري: نعم، هذا هو مفاد كلام إمامنا أمير المؤمنين عليه السلام حيث يقول في صفة المتقين: (ينظر إليهم الناظر فيحسبهم مرضى، وما بالقوم من مرض، ويقول قد خولطوا ولقد خالطهم أمر عظيم)[١].

---

١ . التمحيص، محمد بن همام الاسكافي: ٧١.

وقال عليه السلام في وصفهم في موضع آخر: (وإذا زكي أحدهم خاف مما يقال له، فيقول: أنا أعلم بنفسي من غيري، وربي أعلم بي من نفسي، اللهم لا تؤاخذني بما يقولون، واجعلني أفضل مما يظنون، واغفر لي ما لا يعلمون)[1].

مما يدل – يا ولدي – على أن المؤمن العارف الرّباني، هو جنديّ مجهول، لا يعرفه الناس، ولا أنا ولا أنت، بل تعرفه خبايا الليل المظلم إذا هدأت الأصوات ونامت الأعين، لذلك قال الإمام الباقر عليه السلام بما فحواه: (وضع الله رضاه في طاعته، وسخطه في معصيته، ووليه في عباده، فلا تحتقرنّ شيئا من طاعة الله فلعل رضا الله فيه، ولا تحتقرن ّشيئا من معصية الله فلعل سخط الله فيه، ولا تحتقرنّ أحدا من العباد فلعله وليّ من أولياء الله عز وجل).

١ . التمحيص، محمد بن همام الاسكافي: ٧٢.

ما المؤسف في الدّعوة إلى المعرفة

فلعلك تسأل – يا ولدي –: ما هو الأمر المؤسف في الدّعوة إلى المعرفة في هذه الأيّام، مع مطلوبية المعرفة وكونها من عناصر الكمال الإنساني؟، ثم هل هناك ضير في دلالة البعض على أنفسهم؟.

أقول: صحيح أن المعرفة أمرٌ مطلوب في شخصية الإنسان المؤمن، وإنها من عناصر الكمال الإنساني، ولكنّ من المؤسف في هذه الدعوة – يا ولدي – عدّة أمور:

الأوّل: إن مثل هذه الدعوة، ما عادت إلاّ لونا من ألوان الجرح والتهجّم والسخرية والازدراء بالآخرين، والحط من قدرهم بما سمعناه من أكثر من واحد من هؤلاء، من القول: أن المراجع المتصدين للتقليد ليسوا علماء، لأن أحكامهم وفتاواهم ليست قطعية، بدليل أنهم يضعون كلمة (الأحوط) أو كلمة (إشكال) في سياق فتاواهم، إلى غير ذلك من التقولات، التي أشاعها دعاة المعرفة، ليشككوا الناس بقياداتهم الروحية، وقد ظهرت مثل هذه التقولات - بقصد أو بدون قصد - على ألسن بعض شبابنا.

فإذا كان المجتهدون – يا ولدي – مخولين شرعا بالاستنباط، وكانت هذه الطريقة مقرّرة من قبل الشارع المقدس، فهل هناك شيء أقوم لعمل المكلف من الاحتياط أو التريث في إعطاء الحكم الشرعي؟ وهل يعتبر هذا من الأمور الموجبة للسخرية والتقليل من شأن الآخرين؟!.

في الوقت الذي نجد الكتاب الكريم والسنّة المطهرة، يحذران الإنسان المؤمن من ذلك تحذيرا شديدا، كما قال عز وجل: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ...)** (الحجرات:١١).

فقد شملت الآية الكريمة جميع أنواع التطاعن والتنابز والسخرية بالناس على اختلاف مستوياتهم، سواء مع وجود النقص فيهم أم مع عدم وجوده،

وسواء كان النقص في الهيئة أم معنويا، فكيف إذا كانت السخرية بالعلماء والقادة الروحيين؟.

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: قال الله تبارك وتعالى: (من أهان لي وليّا فقد أرصد لمحاربتي)[1].

الثاني: إن مثل هذه الدعوة – يا ولدي – قد أدّت إلى التقليل من دور العبادات والأعمال، بل الحكم ببطلانها، لا لشيء إلا لأنّ الإنسان لم يدرك سرّ العبادة التي يؤديها!

فمن أمثلة هذه الفكرة الشائعة في هذه الأيام، أن أحد شبابنا كان متوجها إلى القبلة بانتظار الصلاة، فالتفت إليه زميله قائلا: لماذا تصلّي؟

قال: أجبته باستغراب: بديهي أن الله عز وجل أمرنا بالصلاة لا لحاجة منه إليها، بل لما فيها من مصلحة تعود على الحياة والسلوك، فقال: هذا لا يكفي من المعرفة، بل هناك السر الأعمق الذي لا معنى للصلاة ولا تقبل الصلاة إلا بمعرفته، وما عاد هذا السائل عارفا بسر من أسرار العبادة.

وكما سأل شاب زميله: لماذا تلبس الخاتم؟ قال: قلت له: للاستحباب الوارد في التختم، فقال: هذا لا يكفي، إنك غير عارف بما تعمل. أو كما يسأل آخر: لماذا أصبحت صلاة الصبح ركعتين والمغرب ثلاثا؟.

وهكذا قد أخذت هذه الأسئلة وأمثالها حيّزا كبيرا من أوقات الكثير من شبابنا، وكلما حدث توقّف عن الجواب قيل: أنكم لا تعرفون ما تعملون، ليس المهم معرفة أن هذا واجب وهذا حرام وهذا حلال، بل المهم معرفة سرّ الواجب وسرّ الحلال والحرام، وكيف تعملون عملا وتؤدّون واجبا وأنتم لا تعرفون سرّ ما تعملون؟

هذا ما يدور - يا ولدي - وما يروج في فترة من الفترات وفي هذه الأيام، في الوقت الذي لا يوجد أيّ دليل على بطلان عمل أو تطبيق، إذا لم تكن تعرف سرّه وحكمته.

---

١ . كتاب المؤمن، الحسين بن سعيد: ٦٩.

بل المطلوب هو معرفة كيفيّة القيام بالواجبات، وأن تكون على الوجه الصحيح، أي يكون العمل جامعا لمكوّناته وأجزائه، مع معرفة علاج الخلل الواقع فيه كما أرشدت إليه رسائل العلماء المجتهدين.

الثالث: إن أكثر الذين يتحدّثون بهذه الفكرة، ويغرقون في ضرورة المعرفة وحسب التجربة - يا ولدي - هم عاجزون عن أن يقدّموا لك سرا واحدا من الأسرار والعلل لتفاصيل التشريع.

فضلا عن أنهم عاجزون عن معرفة الأحكام التي تخص الإبتلاءآت اليومية على مستوى العبادات والمعاملات، من طريقة التطهير وأحكامه، إلى شروط وضوابط الوضوء والغسل والتيمّم، وأحكام الخلل والشك والسهو في الصلاة، إلى أعقد المسائل وأدقّها في المعاملات والأحوال الشخصية والإرث وغيره.

الرابع: إن ضمن هذه الدعوة، هناك دعوة إلى رفض وإلغاء التقليد، بنص القول: إنكم انشغلتم بالفروع والتقليد بها وتركتم الأصول، دعوا الحديث عن الفروع، وتعالوا إلى معرفة الأصول.

فاعلم – يا ولدي – إن هذه مسألة خطيرة، لأنها تعني تهميش القيادات الروحية ومراجع الدين، وتقويض دورهم من حياة الأمّة، بل هناك عملية تسقيط مقصودة ومنتظمة، ضد ذوي الأهلية والكفاءة من رموز المرجعية في نفوس الناس.

وعلى الأقل، زرع الشك والريب في نفوس البعض من الذين لم يجالسوا المراجع، ولم يعرفوا ماذا يعني الاجتهاد، ولم يعرفوا كم باب من العلم درس المجتهد حتى وصل إلى هذه الدرجة.

وهذا اللون من التهميش أو التقويض لذوي الكفاءة والأهلية – يا ولدي – هو الغاية الهامة من غايات أعداء الإسلام في كل عصر. فليكن هناك تمييز بين المجتهد وغيره.

وليكن معروفا لكل أحد، أيهما أولى بالإتّباع في نظر القرآن الكريم، قال عز وجل: **(أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّيَ إِلاَّ أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ)** (يونس: ٣٥).

فالآية – يا ولدي – تعالج أزمة الإقتداء في كل زمان يكون المجتمع فيه معرّضا للضّياع، وفريسة للأوهام حيث تتقاذفه مجاهل الطرق هنا وهناك، فليس غريبا إذا رأينا في المجتمع من لا يميّز بين هذا وذاك، كما كان في مجتمع الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، من لا يميّز بين عليّ وخصومه، ولم يعرف ما هو جوهر النزاع بين أهل البيت عليه السلام وبين أعدائهم.

كما أن هناك من لم يعرفوا - أو قل: تجاهلوا- جوهر وغاية النزاع المسلح بين الإمام الحسين عليه السلام وخصمه يزيد بن معاوية الذي اتصل يومه بأمس أبيه. وها هو يتصل حاضر أحفاده بأمسه، في كل ما يجري على أيديهم من القتل والإبادة ضد أتباع الحق.

وأختم معك الحديث – يا ولدي – بقصّة خطرت على ذهني وهي: بعد واقعة صفّين، مرّ رجل كوفي يقود بعيره في طريق من طرق الشام، فمسك به شامي، فأخذ البعير من يده غصبا وقال: إن هذه ناقتي فقدتها بعد المعركة، فقال له الرجل: إنها ناقتي، واحتدم النزاع والجدل بينهما.

فترافعا في القضية إلى معاوية بن أبي سفيان، فقال معاوية للشامي: ألك شهود على ذلك؟، قال: نعم، فأحضر خمسين شاهدا، شهد كل منهم على أنّ الناقة للشامي، فقضى معاوية بالدعوى لصالح الشامي.

فالتفت الكوفي إلى معاوية وقال: أصلح الله الأمير، إنه بعير وليس ناقة كما يدّعي، فقال معاوية: إنّه حكم قضى ومضى، ولكن تعال إليّ في وقت آخر، فجاء الرجل إلى معاوية، فقال له معاوية: كم ثمن بعيرك؟ قال: كذا مقداره.

فقال معاوية: هاك ثمن بعيرك، وهاك ضعفا آخر، وامض إلى سيّدك علي بن أبي طالب، وقل له: إن معاوية يقاتلك بمائة وخمسين ألف رجل لا يميّزون بين الناقة والبعير.

لذا أنّ ألذي يقاتل الحق – يا ولدي – في كل زمان، هم أناس شتى، منهم من أعمتهم الأطماع، ومنهم من اشتبهت عليهم السبل، فلم يبق لدينا إلا أن نتحرّى الحق في القدوات الصالحة، الذين لا يخلو منهم زمان، وهم الامتداد الطبيعي لأهل البيت عليهم السلام، وهم المجتهدون الذين عرفوا في أوساط أهل العلم بالخبرة والاختصاص، وبالورع والتقوى ومخالفة الهوى. نسأل الله عز وجل أن

يعصم أفكارنا من الوهم، وعقيدتنا من الباطل، وأعمالنا من الزلل، وأن يأخذ بأيدينا إلى خير العمل، وينتهي بخطونا إلى أنور السبل.

ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين.

والحمد لله رب العالمين..

المصادر

١. القرآن الكريم.
٢. الأسفار الأربعة.
٣. اعتقادات الصدوق.
٤. الأنوار البهية، عباس القمي.
٥. بحار الأنوار، الأميني.
٦. تحف العقول، ابن شعبة الحراني.
٧. تفسير ابن كثير.
٨. التفسير الصافي، الفيض الكاشاني.
٩. التمحيص، محمد بن همام الاسكافي.
١٠. الجواهر السنية، الحر العاملي.
١١. ذخائر العقبى، الطبري.
١٢. السقيفة أم الفتن، د. الخليلي.
١٣. سنن الترمذي، الترمذي.
١٤. شرح كلمات أمير المؤمنين، عبد الوهاب.
١٥. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد.
١٦. شرح مئة كلمة، ابن هيثم البحراني.
١٧. الصحيفة السجادية.
١٨. الطرائف، السيد ابن طاووس الحسني.
١٩. عيون أخبار الرضا، الشيخ الصدوق.
٢٠. الغدير ، الأميني.
٢١. الفتاوي الميسرة، السيد علي السيستاني.
٢٢. القضايا والشهادات، الشيخ الأنصاري.

٢٥.كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق.
٢٦.كنز العمال، المتقي الهندي.
٢٧.اللمعة البيضاء، التبريزي الأنصاري.
٢٨.مجمع الزوائد، الهيثمي.
٢٩.المحاسن، أحمد البرقي.
٣٠.مستدرك الحاكم، الحاكم النيسابوري.
٣١.مستدرك الوسائل، الميرزا النوري.
٣٢.مستدرك سفينة البحار، علي النمازي.
٣٣.مسكن الفؤاد، الشهيد الثاني.
٣٤.مسند أحمد، أحمد بن علي بن حجر.
٣٥.مسند الشهاب، ابن سلامة.
٣٦.مصباح المتهجد، الطوسي.
٣٧.معجم رجال الحديث، السيد الخوئي.
٣٨.مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب.
٣٩.ميزان الحكمة، مهدي الريشهري.
٤٠.نهج البلاغة.
٤١.نهج السعادة، المحمودي.
٤٢.وسائل الشيعة، الحر العاملي.
٤٣.ينابيع المودة، القندوزي.

الفهرست

- مقدمة القسم: ٧
- تمهيد: ٩
- **المحور الأول:** (المعرفة بالمعنى الأعم): ١٧
- ماذا تعني المعرفة: ١٩
- ما مصدر المعرفة: ٢٠
- إشارات قرآنية إلى موقع الإنسان: ٣٤
- ما الغاية من معرفة النفس ٣٨
- بنود العقيدة الإسلامية: ٤٤
- وظيفة الإمام في حياة الأمة: ٥٩
- عصمة الإمام شرط في إمامته: ٦٢
- متى تبدأ الآخرة: ٦٨
- أسس المعرفة بالأحكام: ٧٤
- **المحور الثاني:** (المعرفة بالمعنى الأخص): ٨٥
- درجات المعرفة: ٩٢
- **المحور الثالث:** (في صفات المؤمن العارف): ٩٧
- ما المؤسف في الدعوة إلى المعرفة: ١٢

٧

- المصادر: ١٣
٣